الفصل التاسع

حقـــوق المسنيـــن

- قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

- قال النبي محمد ﷺ : « إن من إجلال الله تعالىٰ إكرام ذي الشيبة المسلم » .

- قال الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود : «وأعود مرة ثانية لأقول كلمة قالتها امرأة ، ومن حسن الرواية إن الإنسان يذكرها في بعض الأحيان في كثير من الأمور، كان الملك عبدالعزيز يرحمه الله إذا جاء آخر رمضان تكون الحصيلة التي عنده مائة ريال أو عشرين ريالاً، وفي ذلك الوقت كانت العملة الموجودة هي الريال الفرنسي، يقوم الملك عبدالعزيز في العشر الأواخر من رمضان بالذهاب لبيوت العجزة والضعفاء مرة يتعشون ويتغذون ومرة لا يكون عندهم شيء، فيعطي الملك عبدالعزيز راعية البيت أو راعي البيت من كبار السن ريالين فرنسي أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة . أعطى امرأة بعد أن طرق الباب عليها آخر الليل وفتحت فأعطاها خمسة ريالات فرنسية فأمسكت بجيبه وقالت من أنت الذي أعطيتني هذا المبلغ خمسة ريالات فرنسية ، وكان أكبر شيء ممكن أن يعيش به الإنسان في ذلك الوقت بريال في الشهر، المهم امسكت به وقالت أريد أن تعلمني من أنت قال مواطن يسر الله عنده هذا الأمر واعطيتك إياها، ولا زالت ممسكة بجيبه وحاولت حتى تعبت، وتساءلت عما إذا كانت تعرفه أو رآها في سوق أو مكان ، قال عمي عبدالعزيز ــ وهي حضرية في الرياض ــ قال والله إن أردت عبدالعزيز وإلا لست عبدالعزيز، قالت على هون على هون واستقبلت القبلة وقالت قل آمين إن الله يفتح لك خزائن الأرض، هذه كلمة قالتها ورددتها ثلاث مرات، يقول الملك عبدالعزيز بنفسه الذي فكرت فيه أن خزائن الأرض أن ينزل المطر وتتفتح الأرض والفلاح يتحسن عنده النخل وتكثر المياه، والبادية تكثر عندهم الأعشاب وتكثر الخيرات، ثم قال الملك عبدالعزيز يوم ذهبنا لنفتح أول بئر من الزيت وقف وقال : « قالت لي امرأة كذا وكذا وكذا أن الله يفتح له خزائن الأرض وإن كان هناك شيء مخزون بالأرض فهو طلع الآن» .

- يقول الصحفي الأمريكي جاري واندر : « أعجبت بالمكانة التي يتمتع بها كبار السن بين المسلمين، وفي الوقت الذي أجد فيه كبار السن في الغرب وفي بلادي أمريكا قمة الحضارة الغربية المادية المعاصرة يلقى بهم في مؤسسات العجزة وينبذون فلا يلتفت إليهم أحد، أجد الجد والجدة المسلمين في مركز الأسرة وبؤرتها من حيث الحفاوة والتكريم » .

حقوق المسنين

حقوق المسنين في العالم

مهما تكلمنا من بعد تاريخي أو إنساني عن اهتمام الحكومات والأمم وربما الأديان بكبار السن فإننا نجد الإسلام الأسبق في هذا الجانب، فمع بزوغ فجر الإسلام ومنذ أن نادى نبينا محمد ﷺ بأن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً والإسلام يرعى كبار السن عامة ومنهم الوالدين خاصة، ولئن يشكر لهيئة الأمم المتحدة جهودها الإنسانية بصدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إلا أن الإنسان المسن لم يكن له حظ يذكر ضمن مواد ذلك الإعلان الذي نقص في مواده ذكر حقوق كبار السن،الذين هم أناس لهم حقوق يستحقون بها الرعاية من أهليهم وأسرهم وحكوماتهم ومن المجتمع الدولي، والاهتمام الدولي بحقوق كبار السن جاء متأخراً عند إنشاء الجمعية العالمية للمسنين في فينا عاصمة النمسا عام ١٩٨٢م، وحينها أقرت الخطة الدولية لرعاية المسنين، ثم في عام ١٩٩١م وقَّعت الجمعية العامة للأمم المتحدة على مبادئ هيئة الأمم المتحدة لكبار السن، الأمر الذي كان ينبغي أن يضمن في مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لبيان حقوق المسنين وما يجب لهم من عناية ورعاية والتي هي موضوع هذا الفصل في هذا الجزء من الموسوعة مما سنعرض له وفيه ما يكفي لبيان حقوق كبار السن في الإسلام وإمكانية الإفادة من ذلك لإكمال ما نقص في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان جنباً إلى جنب مما اتخذته هيئة الأمم المتحدة عن كبار السن.

تحدثنا في فصل سابق عن حقوق الوالدين ووجوب الالتزام بتلك الحقوق عند كبرهما خصوصاً، وإننا إذ نتحدث في هذا الفصل عن المسنين نربط علاقة الكبار بالشباب والصغار والمسنين من مجموع الناس في المجتمع وما لهم من حقوق يجب

الوفاء بها. وما إهمال كثير من الأمم للمسنين إلا بسبب ما يذهب إليه علماء نفس النمو أو علم النفس التكويني بالنظر إلى الإنسان في دورة حياته منذ أن يكون جنيناً حتى يكون شيخاً فيموت، ولا ينظرون إلى أن دورة حياة الإنسان لا تنتهي بالشيخوخة، وكبر السن بل لا تنتهي بالموت، فهناك الحياة البرزخية وهناك حياة البعث والنشور وكذا حياة المحشر وفصل الحساب ثم حياة الدار الآخرة في جنة النعيم المقيم أو في جهنم والسعير والجحيم وبئس المصير. إن النظرة الدهرية عند بعض علماء النفس وعند مفكري البعث والنشور هي التي أدت إلى عدم الاهتمام بالمسنين وكذا معرفة حقوق الإنسان بعد الموت وما يتبعها من حياة.

ولم أجد أحد ممن كتب عن هذا الموضوع وحقيقة دورة حياة الإنسان وحقوقه منذ أن يكون جنيناً حتى يبلغ الكتاب أجله في آخرة الإنسان شقي أم سعيد، مثل ما فعل ابن القيم ـ يرحمه الله ـ في كتابه : (تحفة المورود في الاحتفاء بالمولود)، حيث بين حياة الإنسان وحقوقه منذ أن يبدأ نطفة تخرج من صلب الأب الشرعي فتعلق بترائب الأم الشرعية، فجنين فطفل فيافع فشاب فكهل فشيخ فحياة البرزخ بعد الموت ثم البعث والنشور فالحساب ثم الجزاء بجنة أو نار.. إلخ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

فالإنسان هو الإنسان طفلاً أم شاباً كهلاً أم شيخاً حقوقه قائمة على أهله ومجتمعه، فمن كان شاباً بالأمس أعطى المجتمع ووطنه وأهله عطاءً كاملاً، وإذا أصبح اليوم شيخاً فلا يصح أن يكون مصيره دور المسنين وملاجئ الكبار يعيش منفصلاً عن الحياة الاجتماعية الحقيقية في محيطها العائلي مع الأبناء والأحفاد، ولهذا جاء الإسلام ليهتم بحقوق الوالدين آباء وأمهات أجداد وجدات، فالمسن من أحق الناس أن يكون موفى الحقوق مكفولها، وفي هذا الصدد نقرأ هذه الكلمات التي كتبها الصحفي والكاتب الأمريكي جاري واندر عن حقوق المسنين في الإسلام فيقول: « أعجبت

بالمكانة التي يتمتع بها كبار السن بين المسلمين، وفي الوقت الذي أجد فيه كبار السن في الغرب وفي بلادي أمريكا قمة الحضارة الغربية المادية المعاصرة، يلقى بهم في مؤسسات العجزة ، وينبذون فلا يلتفت إليهم أحد ، أجد الجد والجدة المسلمين في مركز الأسرة وبؤرتها من حيث الحفاوة والتكريم »[٢]، ذلك أن العواطف والوشائج العائلية والاجتماعية والإنسانية التي جاءت بها العقيدة الإسلامية بين الناس مرجعها إلى الله الذي كرم الإنسان. وهي نظرة علوية مطلقة ربانية لم تنشئها ضرورة واقعية ولا دعوة أرضية ولا مقتضيات اجتماعية أو اقتصادية، إنما أنشأتها العقيدة الإسلامية الصادرة عن الله. فالإحسان إلى كبار السن والاهتمام بهم فضيلة عقدية إسلامية مرتبطة برضى الله تعالى وليس بعناصر أخرى أرضية، ومقصد الدين في الحقوق عقدي في البر وفي غيره ويقوم على مقصدين:

١ ـ مقصد نفسي

وهو تربية نفوس الناس على الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر، تخلقاً بأخلاق الباري تعالى وأسمائه وصفاته فهو الشكور، قال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٣]. فكما أمرنا الله بشكره على نعمة الخلق من عدم والرزق من فقر، أمرنا بشكر كل من أسدى لنا معروفاً ولو قليلاً، قال ﷺ: « **من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لا يشكر الله لا يشكر الناس والتحديث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة**»[٤] والمسن أولى الناس برد المعروف إليه، فهو في تلك الحالة حيث قضى عمره باذلاً من نفسه وماله وجاهه، وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها وتنبيه على المنافسة وإحقاق الحق لأهله الذي فرضه الإيمان بالله وبر الوالدين والإحسان إلى الكبار والشيوخ والمسنين، والشكر أول درجات الإحسان لأنه مرتبط بالعواطف والوجدان والأحاسيس وكل ما يتعلق بالنفس البشرية، وهذا جزء من مقتضى كلامنا عن حقوق النفس وتربيتها ولوازم بيانها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مما تقدم القول فيه.

٢ ـ مقصد اجتماعي

وهو أن تكون أواصر الأسرة قوية الوشائج مشدودة العرى، فأمر الله تعالى بما يحقق ذلك الوثاق بين أفراد العائلة، وحسن المعاشرة ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة وحب، فهذا نبي الله يعقوب عليه السلام وما نلحظه من مقاصد التربية العقدية ماثلة أمامنا، فنرى إخوة يقولون عنه رغم ما يريدون بيوسف فحكى عنهم الله تعالى بقوله : ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥] ، وهذا من شدة العطف والشفقة على أبيهم الشيخ المسن الذي حزن ومرض على فراقه ابنه، يقول رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم**»[٦].

وكثير من الأمم والشعوب مهما بلغت حضارتهم من الرقي فإنهم في جانب حقوق المسنين قد عوضوا الرحمة والبر والعطف والإحسان بدور للعجزة والمسنين، مغفلين دور المؤسسة العائلية وواجب الأبناء نحو الآباء. وهذا ما يجعلنا نؤكد على أهمية بيان حقوق الوالدين وتضمينها في مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان كما رعاها الإسلام واهتم بها، وليس للمسلم غير العقيدة والإيمان عاملان لإحياء الأسرة والمجتمع ثم الأمة المسلمة، إذ بدون ذلك يصعب علينا إحياء التواد والتراحم في حق المسنين. حيث لن تستطيع القوانين أن تولد الإيمان في قلوبنا بقضية المسنين أو الشيوخ أو أصحاب العاهات أو غيرهم، ولا تستطيع القرارات والصكوك والمواثيق التي تصدرها الحكومات والمؤسسات أن تخلق روح التواد والرحمة والمودة، بل زاد الأمر تعقيداً وإحراجاً، فلم تعد الأسرة في كثير من الدول تميل قلوبهم إلى كهولهم وشيوخهم، بل أصبح الأمر من الواجبات التي تقوم به الدولة وحدها، وعلى الفرد في المجتمع أن يقوم بإيصال المسن إلى دار العجزة ومن ثمة تنقلب القضية إلى وظيفة حكومية وينتهي دور الفرد في المجتمع عند هذا الحد، ولكن التوجيه الإسلامي على وجه الخصوص ودون سائر كثير من الأديان والقوانين والأنظمة والمواثيق حقق المراد الفعلي لكل عاجز ومسن.

و تعد مسألة حماية حقوق المسنين والذي يزداد عددهم باستمرار أحد التحديات الكبيرة لكثير من دول العالم خصوصاً في الدول المتقدمة، ففي عام ١٩٨٢م وخلال اجتماع لمندوبي (١٢٤) مائة وأربع وعشرون دولة أعلنت هيئة الأمم المتحدة بأن العقد التاسع من القرن العشرين هو عقد المسنين وكان ذلك عام ١٩٩٩م، ورفعت منظمة الصحة العالمية عام ١٩٨٣م شعار (فلنضف الحياة إلى سنين العمر)، وطلبت من فروعها في مختلف المناطق أن تقدم مشروعها العملي الجامع لتحقيق هذا الشعار[٧].

وكانت تخمينات هيئة الأمم المتحدة إلى أن عدد المسنين في العالم عام ١٩٥٠م بلغ (٢٥٠) مائتين وخمسون مليون إنسان وتصاعد إلى (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون مليون عام ١٩٧٥م، كما بلغ عددهم عام ١٩٩٥م (٥٩٠) خمسمائة وتسعون مليون، وسوف يتجاوز حد المليار ومائة مليون عام ٢٠٢٥م، مما يعني زيادة النسبة إلى ٢٢٤٪، ووفقاً لهذا التوقع فإن فرد من كل أحد عشر فرداً من سكان العالم يبلغ الستين عاماً عام ١٩٩٥م سيصل هذا إلى واحد من كل سبعة أشخاص عام ٢٠٢٥م[٨]، ولهذا فإن العمر الطويل الذي يعد من سمات أوائل القرن الحاضر صار يشكل تحدياً للمسيرة البشرية عموماً وعادت هذه الظاهرة المطلوبة تصحبها متطلبات جديدة، فالأقطار النامية من خلال ظواهر الإتجاه نحو مجتمع المدن، والمجتمع الصناعي والتحديث بما يصحبه من تغيرات اقتصادية واجتماعية تتعلق بها وتغير من عاداتها الاجتماعية، والعلاقات القائمة بين الجيل الماضي والجيل الحاضر والتي تحولت من مرحلة المطلق إلى مرحلة الفتور والنسبية، ومشكلة السكن، والهجرة، ودخول المرأة إلى ميادين العمل الرسمي، كل ذلك أدى إلى الشعور بضرورة التخطيط لمواجهة هذا التحدي الكبير ومواجهة الآثار السلبية الاقتصادية والاجتماعية لأنماط الأمراض والضعف، والضغط العائلي بين ملايين الرجال والنساء الذين يصلون إلى هذه السن مع التأكيد على الوقاية، والرعاية الصحية وحفظ السلامة البدنية في السنين الأولى من هذه الحالة مع دعم العوائل والتقاليد التي تحتضن المسن وتقوم على إشباع رغباته.

ويؤكد تقرير هيئة الأمم المتحدة على ضرورة توفير الحماية للمسنين بأوسع من مسألة الاتجاه نحو علاجهم، وضرورة الاتجاه نحو توفير أبعاد رفاههم خصوصاً من خلال ملاحظة العلاقة بين السلامة الجسمية والنفسية، والاجتماعية، والبيئية. وأن الهدف الأساس في هذا المجال توفير الخدمات الصحية للمسنين وتقويتهم من خلال الاحتفاظ بمستوى قيامهم بوظائفهم البدنية على التمتع بكيفية أعلى من الحياة الفردية ومشاركتهم الفعالة في النشاط الاجتماعي، والوقاية من الأمراض. وأسلوب التعامل مع هذه المسألة يجب أن يكون أسلوباً جامعاً تنموياً يشكل كل جوانب حياة الإنسان المسن بما في ذلك مشاركته في عملية التنمية وتوفير ما يلي له:

أ ـ الأمن الاجتماعي العائلي وتقوية الروابط الأسرية.

ب ـ الأمن النفسي والوجداني .

ج ـ الأمن الاقتصادي والمالي ودعمه مالياً بما يحتاجه إضافة إلى عائداته التقاعدية أو تخصيص مساعدة مستمرة له إذا لم يكن له عوائد تقاعدية .

د ـ الأمن الصحي في العلاج ومجانيته.

هـ ـ حفظ سلامتهم وأمنهم وأمانهم في الأماكن العامة التي يعيشون فيها .

و ـ الأمن الثقافي والتعليمي المستمر لمواجهة مشكلات الحياة وتحقيق ذلك لهم .

وذلك لأن قدراً كبيراً من المسنين يظلون سالمين جسمياً وفاعلين اقتصادياً مما يشكل قوة بشرية قيِّمة للبلد، إلا أن النظام البيروقراطي الإداري للتقاعد في كثير من دول العالم لا يمنحهم في أكثر الظروف فرصة الدخول في ميدان العمل والاستمرار فيه بعد بلوغ سن التقاعد رغم ما يملكون من غنى في التجربة وحصافة في العقل وعلاقات متنوعة تسهل تحقيق الوظائف الكبرى، الأمر الذي نجده مؤثراً في القطاع الخاص ومفيد جداً في أصناف من الناس مثل القضاة والمحامين وأساتذة الجامعات والأطباء والحقوقيين، والعلماء والمهندسين، بل وحتى الفلاحين في المناطق الريفية. لهذا فإن نظام التقاعد يجب أن يكون متطوراً متجدداً يلبي الاحتياجات والمطالب،

ويتلاءم مع المتغيرات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية، كما لا بد أن يكون النظام قادراً على تحقيق العدالة والمساواة.

وأسوأ أنواع القرارات هي النوع الإجباري الذي يفرض على الإنسان دون الأخذ برأيه، إنه قرار التقاعد الذي يجب أن يقوم على أسس علمية وصحية ونفسية واجتماعية مدروسة وليس فقط على أسس رقمية مجردة وعلى تنظيمات بيوقراطية، فبلوغ الإنسان سنوات عمر معينة لا يكفي أن يكون مبرراً للتقاعد.

ويلحظ أنه في السنوات الأخيرة من القرن الماضي كانت هناك ثورة على القوانين التي تحدد سناً للتقاعد، حيث خرجت جماعات كثيرة في بعض دول العالم تقول: «كيف نحدد سن العمل وسن التقاعد ببلوغ عمر بذاته، وليس بفقدان القدرة؟ كيف نعتبر حاجز الستين أو أكثر قليلاً سداً منيعاً يحول دون تدفق الراغبين في العمل والقادرين عليه؟ كيف يكون هناك قانون إلزامي يحد من حرية البشر في العمل؟ وفي هذا الاتجاه، تشكلت في الولايات المتحدة الأمريكية منظمة للمدافعين عن حقوق المسنين في مواصلة العمل، وأصدرت هذه المنظمة بياناً في سبتمبر ١٩٩٧م أكدت فيه رفضها لقوانين التقاعد مطالبة بأن يكون التقاعد اختيارياً». ووصفت الإلزام في هذا المجال بأنه عمل غير أخلاقي، وأنه حرمان للشخص من حق كسب العيش.

وفي الوقت نفسه، ألغت كندا الإحالة للتقاعد على أساس السن، وتركت المشتغل ليعمل ما دام قادراً على العطاء، وكانت نتائج ذلك إيجابية، فقد قلت الأعباء التأمينية، وزاد المساهمون في الاقتصاد القومي، وفي اليابان تم رفع سن التقاعد إلى الخامسة والستين، وتجري معاقبة الشركات التي لا تتعاون في هذا المجال، إذن هناك ثورة على القوانين التي تجعل السن سيفاً مسلطاً وأداة تحكمية تفصل بين حالة العمل واللا عمل.

ومع هذا تبقى كبرى الخرافات أن المسنين عاجزون عن تقديم شيء للمجتمع، رغم أن الإنتاج في المجتمع بات ذهنياً ومعتمداً على الآلة، أكثر مما يعتمد على

عضلات الإنسان، ولكن لا يمكن إغفال الإنسان وعقله وقدراته الإبداعية، فالآلة لا تعمل دون اختراع واكتشاف وفكر وعقل الإنسان، ودخول المسنين في مختلف ميادين العمل والسماح لهم بذلك والاستفادة منهم يخلق لديهم الإحساس الدائم بحاجة المجتمع إليهم ويقيهم الكثير من أعراض الوحدة والوحشة والعزلة والمرض العضوي والنفسي، وقد أكد المؤتمر الدولي في فيينا عام ١٩٨٨م على قواعد المشروع العلمي المتعلق بالمسنين على أن هدف التنمية هو تحسين رفاه وسلامة كل المجتمع على أساس المشاركة الكاملة في مسيرة التنمية والتوزيع العادل للنتائج الحاصلة، وتحقيق المساواة والحقوق والمسؤوليات الاجتماعية بين كل الفئات من شتى الأعمار.

وقد قام المؤتمر الدولي الذي انعقد في مكسيكو ستي عام ١٩٨٤م بالتوصية بضرورة قيام الدول بالاهتمام بالمسنين لا باعتبارهم فئة تبعية تلقي بثقلها على المجتمع بل باعتبارهم مجموعات قدمت معونات كبرى إلى الحياة الاقتصادية والتربوية والاجتماعية والثقافية لأسرهم وبلدانهم وما زالت تستطيع أن تقدم ذلك.

وهذا ما كرره المؤتمر الآسيوي الرابع الذي انعقد في جزيرة بالي بأندونسيا عام ١٩٩٢م وأكد على أن سياسة التأهيل في جميع سني العمر لمرحلة الشيخوخة هي وسيلة للوصول إلى هذا الهدف، ومع الإذعان بأنه في أكثر الموارد تقوم العوائل برعاية المسنين فقد أوصى المجتمعون في المؤتمر الدول بتوفير امتيازات اقتصادية كالإعفاء من الضرائب لمثل هذه العوائل.

أما المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والذي انعقد في القاهرة عام ١٩٩٤م ونال شهرة واسعة فقد ذكر في البند (ج) من الفصل السادس للنمو السكاني أن على الدول أن تستهدف مسألة تعزيز الاعتماد على الذات لدى المسنين وتعزيز نوعية الحياة بتمكينهم من العمل والعيش بصورة مستقلة لأطول وقت ممكن، ووضع نظم للرعاية الصحية علاوة على نظم للضمان الاقتصادي والاجتماعي عند الشيخوخة حسب الاقتضاء، مع إيلاء اهتمام خاص بالمرأة لكونها تعمر أكثر من الرجل - في

معظم المجتمعات ـ ولذلك فإنها تشكل الأغلبية من المسنين وهي في الغالب ضعيفة للغاية فتستحق العناية الأكبر، ووضع نظام للدعم الاجتماعي على الصعيد الرسمي وغير الرسمي بغية تعزيز قدرة الأسرة على رعاية كبار السن داخل الأسرة، وأكد المؤتمر على ضرورة أن تكفل الحكومات تهيئة الظروف اللازمة لتمكين المسنين من أن يعيشوا حياة صحيحة ومنتجة يحددونها بأنفسهم، واستغلال مهاراتهم وقدراتهم التي اكتسبوها في حياتهم استغلالاً كاملاً بما يعود بالفائدة على المجتمع، وينبغي أن تحظى المساهمة القيمة التي يقدمها كبار السن للأسرة والمجتمع وخاصة كمتطوعين ومقدمين للرعاية بالاعتراف والتشجيع. ودعا المؤتمر إلى تعزيز نظم الدعم وشبكات الأمان الرسمية وغير الرسمية والقضاء على كل أشكال العنف والتمييز ضدهم مع التركيز على المسنات وحقوقهن، أما المؤتمر الذي عقده قادة الدول في مجال (التنمية الاجتماعية) عام ١٩٩٥م في كوبنهاجن فقد أوصى الدول ببذل مساعي خاصة في حماية المسنين وخصوصاً المعلولين منهم من خلال تقوية نظام الحماية العائلية وتحسين مكانتهم الاجتماعية وضمان وصولهم إلى الخدمات الأساسية الاجتماعية، وضمان الأمن المالي وإيجاد الجو الاقتصادي المساعد لتأمين صناديق التوفير لمرحلة الشيخوخة.

مما تقدم يتضح أنه حتى وقت قريب لم يكن المسنين يحظون بالقدر الواجب من الاهتمام والرعاية من جانب المجتمعات باستثناء المجتمعات الإسلامية على تفاوت فيما بينها، ومهما كثرت المؤتمرات وتعددت القرارات فالمسألة إن لم تكن تقوم على التربية الدينية والاجتماعية والتعليمية كما جاءت في الإسلام فمآل المسنين الضياع والنسيان.

ولقد تمثلت أولى محاولات العلماء في هذا المجال في تكوين نادي بحوث الشيخوخة بإشراف مؤسسة (جوزبامس) في عام ١٩٣٨م، وقد كان بجهود فئة من العلماء المهتمين بالأمور البيولوجية والطبية، وبعد صدور كتاب مشكلات الشيخوخة (لكاودي) عام ١٩٣٩م الذي اعتبر أول مرجع علمي لتتعرف على

النواحي البيولوجية والطبية لشيخوخة الإنسان، وسجل هذا المرجع بدأ تاريخ التفكير العلمي المنظم في مسائل الشيخوخة، وقد استخدم فيه لأول مرة مصطلح (جيرونولوجي Geronolagy) للدلالة على الدراسات العلمية لظاهرة الشيخوخة.

وقد زاد انتباه علماء الاجتماع تكاثر أعداد المسنين وارتفاع نسبتهم بالقياس إلى مجموع السكان في العالم، مما كان له أثره في المجتمعات المختلفة التي بدأت تولي اهتمامها لهذه الفئة، ثم ظهر الاتجاه الحديث في الاهتمام بالمسنين الذي ينظر إلى مرحلة الشيخوخة باعتبارها إحدى المراحل الطبيعية للنمو واحتياجاتها التي يجب التخطيط لها منذ مراحل مبكرة، كل هذه الأمور المادية والمعنوية وما وضع لها من آلية لرعاية المسنين ما من شك لها قيمتها وفائدتها، ولكن لابد من تحقيق الجوانب الدينية والروحية والتربوية في معرفة حقوق كبار السن وأهمية رعايتها داخل الأسرة الصغيرة لدى الأولاد ثم خروجاً إلى محيط الأسرة الكبير المجتمع والدولة، هذا هو ما سنتكلم عنه عن مبادئ حقوق المسن المسلم في الاسلام.

حقوق المسنين في الإسلام

حقوق المسن المسلم

للإسلام رأيه الشامل في حقوق الإنسان المسن الشيخ الكبير وهو يطرح حقوقاً لا تعرفها القوانين المتقدمة من قبيل الحقوق الأخلاقية، فالإسلام يمنح المسنين حقوقاً إضافية بمقتضى حاجتهم للرعاية الأخلاقية والاجتماعية كما يؤكد تماماً ـ وإلى أقصى حد ـ على عنصر الرعاية العائلية لهم وهذا ما يبدو في نصوص قرآنية كثيرة، والنصوص العامة حول الوالدين كثيرة وذلك يشمل كل الأقارب من أجداد وجدات وأعمام وعمات وأخوال وخالات وغيرهم من ذوي القربى الأرحام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[٩]. وقوله جلّ شأنه:﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[١٠]، تضمنت هذه الآية أن رعاية المسنين من ذوي القربى حتى الموالي والمملوكين إن وجدوا ، فهذا الإسلام وشموله الإنساني وأحكامه التامة، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١١]. تؤكد الآية على حفظ حق الإنسان في الحياة، وألا يقتل الإنسان ربما لكبر سنه وأنه عبء على أهله، فتلك وصايا الإسلام وأحكامه، وأننا نسمع كم قتل بعض الناس بعض كبار السن من ذويهم وجه حق سوى أنه من المسنين.

وقد تعددت الآيات التي توصي الإنسان بوالديه بأعظم الوصية: بالبر والإحسان وتذكره بالمصائب التي تواجهها خصوصاً عند كبرهما، ويشدد الإسلام على الإنسان التسليم لأوامرهما وعدم الرد عليهما مطلقاً، قال تعالى:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١٢]، وهذه النصوص تظهر بما لا يحتاج إلى توضيح مدى اهتمام الإسلام بموضوع الوالدين وخصوصاً عند بلوغهما مرحلة الكبر والشيخوخة. وينبغي الالتفات إلى أن هناك شرياناً دموياً قوياً يجمع بين مرحلتي الطفولة والشيخوخة، ويحقق ارتباطاً جذرياً وتلازماً عضوياً حيوياً بينهما، ويثير الانتباه إلى أن ما يفعله الولد أو الشاب أو الكهل بأبويه أو بكل من هو أكبر سناً منه، يجد ثمرته بنفسه في الحياة، فليس هناك ما تلمس آثاره ويتأتي فيه القصاص

والتشابه في المعاملة، وتعجيل العقاب، وجعل الجزاء من جنس العمل مثل عقوق الوالدين ، وترك رعاية أو احترام أو رحمة الكبار والضعفاء، كما جاء في الحديث النبوي الثابت في قول النبي ﷺ: **«البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى، والدَّيان لا يموت ، اعمل ما شئت، كما تدين تدان»**[١٣]، أي فكما يعامل الإنسان غيره وقت الكبر يعامله الآخرين من أولاده كذلك. وقد قرنت الشريعة الإسلامية في آيات محكمات وأحاديث شريفة كثيرة بين عقوق الوالدين والشرك بالله وقد ذكرنا بعض الآيات فيما تقدم، ومن الأحاديث قوله ﷺ : **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين»**[١٤] ، وحقوق الأقارب والأرحام عندما تؤدى ويوصلون فإن فيها أداء لحقوق الوالدين وبرهما، قال رسول الله ﷺ : **«إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه»**[١٥] ، وعالمية الإسلام في بر الوالدين وصلة الأرحام تتعدى الحدود القومية الوطنية إلى دول العالم غير المسلم، وهذا ما أكده رسول الله ﷺ في وصيته للمسلمين برعاية أهل مصر وقد كانت حينذاك دولة قبطية مسيحية أي غير عربية مسلمة، فقال عليه الصلاة والسلام : **«إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً»**[١٦] .

وجسور التواصل بين المرحلتين قائمة وقوية ومحكمة، لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى، لأن الغالب في الإنسان إكماله مرحلة الشيخوخة، بعد اجتياز مرحلة الطفولة وما يليها، كما أن الغالب في المرحلة الثانية التعرض للضعف، كما كان عليه الحال في عهد الطفولة، وبروز الحاجة إلى مساعدة الآخرين، وتشتد الحاجة إلى الرعاية في مرحلة الشيخوخة لأنها في دور التصفية والغروب أو الوداع، فهي إما أن تحيا في ذاكرة المجتمع الصغير أو تنسى عادة أعمال من تقدمهم، أما في مرحلة الطفولة فيعتني الناس بها عادة بنحو أكثر، فهي مرحلة بناء وتأهيل وإعداد ، وغرس آمال ، وتطلع إلى مزيد من التنمية والعطاء والنتاج ، قال ﷺ : **«ابغوني الضعفاء ، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم»**[١٧]، وما أروع وأجمل الربط في آي القرآن المجيد بين المرحلتين بمناسبات عديدة، لشحن ذاكرة الأجيال، والنشء

المتلاحق، بعلاقة التلازم والتكميل وترتيب إحدى المرحلتين على الأخرى، فقال الله تعالى في بيان مراحل عمر الإنسان: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[١٨]، ثم بين الله تعالى أن الكبير قد يعود في عقله وفكره إلى مرحلة الطفولة، ليتعظ ويعتبر، ويكون منه التفريط في الأعمال، والعجز عن القيام بالواجب، كما كان في عهد القوة والشباب، فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[١٩]، فلابد من إدراك الصلة والتلازم بين العناية بالصغار، ورعاية الكبار، حتى يتحقق التكامل والتواصل بين الجيلين، وتقديم كل جيل لمن يأتي بعده أو يتبعه كل أنواع البر والخير والرحمة والإحسان.

أما بالنسبة لحقوق كبار السن بصفة عامة في الإسلام فالذي يلاحظ في النصوص الشريفة التأكيد على منح الشيوخ المسنين غاية الاحترام، قال ﷺ: **«ما أكرم شاب شيخاً إلا قضى الله له عند سنه من يكرمه»**[٢٠]، وقوله ﷺ: **«البركة مع أكابركم»**[٢١]، وقوله عليه السلام: **«من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم»**[٢٢]، وكذلك قوله ﷺ: **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»**[٢٣]، ويقول النبي ﷺ: **«رغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر، فلم يدخلاه الجنة»**[٢٤]، أي بالمعاملة الحسنة والرعاية الكريمة وبرهما، لا القاؤهما في الملاجىء ودور المسنين، فما أغلى الجائزة التي ينالها من يرعى والديه والعكس صحيح فهي الخسران. وفي رواية أخري : **«رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه : من أدرك أبويه عنده الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»**[٢٥]، وما ينطبق على الوالدين ينطبق على غيرهما من الأقارب والأباعد الضعفاء، قال الله تعالى:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢٦].

والتزم الصحابة الكرام بهذا الأدب في منهاج التربية النبوية، فكانوا يقدمون

الأكبر سناً في القول أو الكلام، أو الطعام أو الشرب، وفي غير ذلك، كل ذلك يدل على التزام هذا الأدب الإسلامي الرفيع باحترام كبار السن وأهل الفضل والمعروف في مختلف الأحوال والمواقف، ولا سيما وقت اشتداد الحاجة إلى المعونة الطبية والنفسية والمالية والاجتماعية. وحق المسنين محفوظ حتى وقت الحروب، فالإسلام يمنع من مسهم بأذى في حالة النزاعات المسلحة ولقد كانت عادة الرسول ﷺ والقادة المسلمين أنهم إذا بعثوا سرية أو كتيبة حربية خصوها بالتعليمات اللازمة، فرسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية دعا أميرها فأجلسه إلى جنبه وأجلس أصحابه بين يديه ثم قال: **«لا تغلو ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً ولا امرأة»**[٢٧].

لأن المسن والشيخ مكان احترام ووقار، ولهذا فقد استقبحت النصوص الإسلامية بأحكامها الشرعية الانحراف وسوء الخلق والسلوك من الشيخ الكبير غاية الاستقباح خصوصاً ما جاء ذكره في الأثر من ذم البخل عند كبير السن وذم المعاصي بأنواعها في حق كبير السن، وهي محرمة في حق كل مسلم كبير أو صغير ولكنها ممقوتة من الكبير الذي يجب أن يكون قدوة لغيره ففي الأثر: **«لشاب مرهق في الذنوب سخي أحب إلى الله من شيخ عابد بخيل»**[٢٨]، وقوله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم منهم شيخ زان»**[٢٩]، وقول رسول الله ﷺ: **«إن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام، ما يجدها عاق ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان»**[٣٠]، ودعا الإسلام أبناءه إلى صلة الأرحام وتوثيق الروابط الأسرية والإحسان إلى الأهل امتثالاً لأمر الله في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[٣١]، وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾[٣٢]، وفي تكريم كبار السن روى البخاري عن أبي سعيد سمرة بن جندب قوله ﷺ : **«لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن ههنا رجالاً أسن مني»**[٣٣]، وهذا من أدب الصغار مع الكبار وحفظ حقوقهم واحترامهم وتوقيرهم، وعلى المجتمع أن يعرف أنه كلما تقدم الإنسان بالعمر ازدادت عاداته وسلوكه رسوخاً وثباتاً، حتى تغدو جزءا لا يتجزأ من مقومات شخصيته، وهناك ميل لدى

المسن إلى الاستمرار في نوعية السلوك ونمطه وعدم قبول الجديد، فلابد من التنبه إلى ذلك ورعاية مشاعر وأحاسيس ووجدان الكبار وحفظ حقوقهم كما هو أمر الإسلام في حقهم يحتاج إلى معرفة طريقته وتعلمه والاقتناع بفائدته، أما القديم فهو أيسر وأسهل، ومع تقدم العمر يطبع الإنسان بطابع الحرص على القديم، والتمسك الشديد بعادات وقيم نشأ عليه، لذلك فإن آراء المسنين واتجاهاتهم تمثل الأفكار والعادات التي كانت سائدة في زمن شبابهم، أما آراء الجيل الناشئ واتجاهاته فتمثل انعكاساً وامتصاصاً لما يجري من تطورات حديثة متغيرة، ومن هنا ينشأ الصراع الدائم بين الجيل القديم والجيل الجديد، ويزداد نقد المسنين الحاد للجيل التالي في تصرفاته وآرائه، ويسخر مما وصلت إليه حال الأجيال التالية، وتزداد نظريته تشاؤماً للقادمات من الأيام. ولكنه ثبت أيضاً أن المسنين الذين يواصلون العمل الفكري النشيط، ويبقون على اتصال مع أنواع الثقافات هم أقدر على تعلم الجديد، وأكثر مرونة في تقبل التغيرات الاجتماعية.

وبالرغم مما يقوم به المجتمع الصناعي من تأمين الخدمات وغيرها للمسنين، إلا أن مركز المسن في المجتمعات الشرقية والقديمة، خصوصاً المجتمعات الإسلامية يبقى أكثر احتراماً وتقديراً، وهو يمثل مركزاً اجتماعياً كبيراً، فبالإضافة إلى الاحترام والتقدير، فالجيل الصغير يعلم أن الجيل الكبير إليه يعود الفضل في كثير من الأمور الهامة، كحل المشكلات والخلافات، وإسداء النصح والخبرة في أمور الحياة، ولا زال في المجتمعات الشرقية ومنها المجتمعات الإسلامية للمسنين مكانتهم اللائقة، فهذه المجتمعات لاتحافظ على أواصر القربى والروابط العائلية، ولا تعطي للمسنين حق قدرهم اتباعاً للتقاليد والتي تدعو لاحترامهم وتقديرهم، بل إنما هو أعمال وتفعيل للتعاليم الدينية التي دعت لاحترام المسنين، فلقد نادى الإسلام ببر الوالدين والإحسان إليهما واحترامهما في كبرهما كما أشرنا سابقاً إلى قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[٣٤]،

ويقول عليه الصلاة والسلام: **«ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا»**[٣٥].

كل هذا أدى إلى الإبقاء على منزلة كبيرة للمسنين، وإحاطتهم برعاية تخفف عنهم وطأة الشيخوخة في الشرق بعكس ما يحدث في المجتمعات الغربية المعاصرة، حيث ضعفت مكانة المسنين فيها، لأنهم صاروا يشكلون عبئاً بعددهم الكبير، إضافة إلى أن هذه المجتمعات تؤمن بالقوة والسرعة والعمل والإنتاج، وتسودها النزعة الاستقلالية ومظاهر تفكك الروابط الأسرية والعاطفية بين أفراد العائلة، فتقسوا الحياة على المسنين، ويهجرهم أبناؤهم، ويتذمر المجتمع منهم، فيشعرون أنهم عالة على المجتمع وأنهم دون نفع في الحياة. وتزداد الأمراض النفسية بينهم، والانهيارات العصبية وحوادث الانتحار، ولا يلقون الرعاية الكافية من عائلاتهم فيعيش أغلبهم في دور العجزة ومدن الشيوخ وملاجئ المسنين.

وبعد فإن الإسلام بفقهه الحضاري العظيم لم يغادر قضية من القضايا الحيوية تخص الإنسان وحقوقه للفرد وللجماعة إلا عالجها وشخص لها الداء ووصف لها الدواء، ولا سيما قضايا التكافل الاجتماعي بما يقتضيه من التعاون والتراحم والتناصر والتضامن بين كافة هيئات الجماعة الإنسانية. ولقد كان لقضية حقوق المسنين دور بارز في التشريع الإسلامي بل وفي الفكر الإسلامي كذلك، ولكن ذلك لم يُفرد له فيما أحسب تصنيف خاص في كتاب، بل ظل منثوراً بين طيات الكتب وأمهات المراجع القديمة والحديثة، وفي ثنايا الدوريات والمجلات العلمية، عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ـ قالها ثلاثاً ـ فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً، وقال: ألا وقول الزور، ما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»**[٣٦].

هذه حقائق وقواعد وضوابط حفظ حقوق كبار السن في الإسلام نختم القول عنها ببعض أقوال النبي ﷺ، فعن سهل بن معاذ عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: **«من بر والديه طوبى له، زاد الله عز وجل في عمره»**[٣٧]، وعن سلمان رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ قال: **«لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر»**[٣٨]، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«عفوا تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن اعتذر إليه أخيه المسلم من شيء عنه فلم يقبل عذره لم يرد على الحوض »**[٣٩]، وجاء في حديث طويل عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق - لا أسْقِي الماء - قبلهما أهلاً ولا ولداً، فنأى بي طلب شجر يوماً فلم أرح - فلم أرجع - عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو ولداً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر - زاد بعض الرواة - (والصبية يتضاغون عند قدمي) ، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الصخرة فانفرجت شيئاً.. إلخ »**[٤٠].

ويدخل في حكم الوالدين من كبار السن العم والعمة والخال والخالة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **«أتى النبي ﷺ رجل فقال: إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ فقال: هل لك من أم؟ قال : لا، قال: فهل لك من خالة؟ قال : نعم، قال فبرها»**[٤١]، وعن سعيد بن أبي برة قال: سمعتُ أبي يحدث : «أنه شهد ابن عمر رجل يماني يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول :

إني لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة»[٤٢] فالبر كالدين، فإن من يسر والده فإن الله جلّ شأنه يقيض له من يسره من أبنائه، وكذلك العقوق والعكس بالعكس، فعن ابن أسيد مائد بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: **«بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله،**

هل بقي من بر أبويَّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما ـ طلب الرحمة لهما ـ والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ـ كالوصية وغيرها ـ وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[٤٣]. ومن حديث ابن عمر مرفوعاً قوله ﷺ : «**إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه**»[٤٤] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال ﷺ: «**لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**»[٤٥]. وجاء رجل إلى النبي ﷺ يطلب البيعة على الهجرة وقال: ما جئتك حتى أبكيت والدي، فقال ﷺ: «**ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما**»[٤٦]. مع أن والداه ليسا مسلمين. لأن الإسلام كما هو مقرر في كتب العلم والسيرة والتاريخ الحديث يوصي الإنسان المسلم بوالديه الكافرين خيراً وصلتهما فلا يحل للمسلم عقوقهما، حتى إنه يجب على المسلم نفقة الوالدين الكافرين إذا عجزا عن الكسب، وخدمتهما وبرهما وزيارتهما، ولا يتركهما لغزو أو حج أو طلب علم، فإن خدمتهما أفضل من كل ذلك.

فمما قرره الإسلام وارتضاه ونهجه للناس وحقوقهم شرعة ومنهاجاً أن الأدب دائماً زينة وعقل وكمال لصاحبه، ومن أحسن الأدب وأكرمه إكرام ذوي الشيبة وحُسن التأدب معهم واحترام شيبتهم وهم الشيوخ، فعن الإمام جعفر بن محمد ــ أي الإمام جعفر الصادق ــ عن الإمام محمد الباقر عن أبيه رضي الله عنهما قال : جاء رجلان إلى النبي ﷺ شيخ وشاب، فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**كبر كبر**»[٤٧]، وقد جاء في تفسير أبي السعود لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[٤٨] قال ـ رحمه الله ـ : «ولقد سلك (إبراهيم) عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل، واحتج عليه أبدع احتجاج بحُسن أدب وخلق جميل»، وجاء في تفسير الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾[٤٩]، قال الزمخشري:

«ثنى عليه السلام بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فلا تستنكف، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك، فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه»[٥٠]. وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾[٥١]، قول الزمخشري: « ربَّع عليه السلام بتخويفه سوء العاقبة، وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال، ولم يخل ذلك من حسن الأدب، حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به، ولكنه قال: ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب، وصدر كل نصيحة من النصائح الأربعة بقوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾ توسلاً إليه واستعطافاً[٥٢]، هذا هو الإسلام في تعاليمه نحو المسنين قبل مئات السنين إذ عرف لهذه الفئة من المجتمع حقها، التي لم يتنبه إليه المجتمع الدولي إلا عام ١٩٩٩م أو حتى قبل ذلك بقليل أو بعده ، وهكذا كان هذا الجانب لحقوق المسنين من النواقص التي لم يشملها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ضمن مواده المتعددة التي تحتاج أن تضاف إليه.

وتتوالى وصايا الإسلام بالمسنين والحث على رعاية الشيوخ في أمور الدين والدنيا فقد راعى الإسلام كبار السن من المسلمين في بعض العبادات، وذلك مما امتازت به شريعة الإسلام من يسر وتخفيف، فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولئن كان هذا لعموم المسلمين فهو لكبار السن والضعفاء بشكل أخص، فالإسلام راعى في أحكامه الضعف الذي يعيشه المسنون، ورتب على ذلك أحكاماً خاصة بهم تتصف باليسر مراعاة لحالتهم الصحية والبدنية، فجاز لكبير السن الإنابة لمن يحج عنه لكبر سنه وعجزه ، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : **«جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج**

أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي الله عنه أن أحج عنه؟ قال : نعم»[٥٣] ، فهذه الرخصة خاصة بكبير السن دون الشاب الصحيح المعافى، ورخص الإسلام لكبير السن بالإفطار في شهر رمضان حين عجزه، والإطعام عن كل يوم مسكيناً، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[٥٤]. وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية : أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : نزلت هذه الآية في الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ثم ضعف، فرخص له أن يطعم عن كل يوم مسكيناً[٥٥]. كما أمر النبي ﷺ الإمام الذي يصلي بالناس بالتخفيف في صلاته مراعاة لمن هم خلفه من الضعفاء وكبار السن. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فيطول ما شاء»**[٥٦].

والمسن ذو الشيبة المسلم له منزلة ومكانة في الإسلام وذلك بما ألبسه الله من ثوب الوقار بشيبته، فلقد روى كعب بن مرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **«من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»**[٥٧]، كما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن نتف الشيب، وقال: **«هو نور المؤمن»**[٥٨]، وقال ﷺ : **«ما شاب رجل في الإسلام شيبة إلا رفعه الله بها درجة، ومحيت عنه بها سيئة وكتبت له بها حسنة»**[٥٩]، ولعله بعد أن أوجزنا فيما سبق حقوق المسن غير المسلم في الشريعة الإسلامية قِبَلْ أبناءهم نزيد التفصيل عن ذلك وما لهم من حقوق قبل الدولة الإسلامية بمقتضى حكم الإسلام.

حقوق المسن غير المسلم

بينا فيما تقدم في هذا الفصل وفصول أخرى من هذه الموسوعة أن رعاية الوالدين من أبرز مظاهر العناية بالمسنين وكبار السن في المجتمع المسلم، فلقد أوصى الله بالوالدين خيراً، وأمر ببرهما وجعل الإحسان إليهما قرين عبادته، قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٦٠]، كما جعل شكره قريناً لشكر الوالدين، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٦١]، وفي جعل الشكر لهما مقترناً بالشكر لله دلالة على أن حقهما من أعظم الحقوق على الولد وأكبرها وأشدها بعد حقوق الله جل جلاله وحقوق رسله عليهم الصلاة والسلام، ولقد نهى الله عز وجل عن نهرهما بأدنى الكلمات، وهي كلمة: (أف)، ونقل السيوطي عن الديلمي أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : «لو علم الله شيئاً عن العقوق أدنى من أف لحرمه»[٦٢].

والوالدان هما مفتاح الجنة للابن، فبرهما يدخل الجنة وبخاصة من أدرك أبويه عند الكبر، لما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : **«رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عنده الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة»**[٦٣]، ولقد قدم الرسول ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو ــ رضي الله عنهما ــ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: **«أحي والداك ؟ قال : نعم، قال : فيهما فجاهد»**[٦٤]. بل جعل الإسلام للوالد حق التصرف في مال الابن، فعن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ : أن رجلاً قال: يا رسول الله : إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يريد أن يجتاح ـ يستأصل ـ مالي، فقال رسول الله ﷺ : **«أنت ومالك لأبيك»** وفي لفظ **« أنت ومالك لوالدك »** [٦٥].

وبر الوالدين لا يقتصر على الوالد أو الأم المسلمة، بل الإبن المسلم مطالب ببر

والديه وإن كانا غير مسلمين، وليس هذا فحسب، بل وإن جاهداه ليشرك بالله فعليه واجب برهما من غير طاعة لهما في الشرك، روى الإمام مسلم في صحيحه عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص: أنه نزل فيه آيات من القرآن قال : «**حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب»، قالت : «وزعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا»**، قال: فمكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لهما يقال له عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾[٦٦]، ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي شَيْئاً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[٦٧]، وقد أوردنا ذلك بتفصيل فيما تقدم[٦٨].

ويستمر البر بالوالدين غير المسلمين حتى بعد مماتهما، (وهذا من حقوق الإنسان بعد الموت)، فعن علي - رضي الله عنه - أنه أتى النبي ﷺ فقال : «**إن أبا طالب مات، فقال له ﷺ : اذهب فوارِ أباك ولا تحدثن حدثاً**»[٦٩]، وفي الحديث أن علياً - رضي الله عنه - عاد إلى الرسول ﷺ بعد ما واراه، فدعا له الرسول ﷺ، وهذا الحديث يُشرع للمسلم أن يتولى دفن ذي رحمه غير المسلم وعلى الأخص من الأقرباء والأرحام، وأن ذلك لا ينافي أحكام الإسلام، فتلك حقوق إنسانية أوجبها الإسلام وإن اختلف الدين، ودفن الوالد أبيه غير المسلم أو أمه غير المسلمة هو آخر ما يملكه الولد من حسن صحبة الوالدين في الدنيا حتى ولو لم يكونا مسلمين، ويمكن مراجعة الفصل الخاص بحقوق الوالدين وما فيه من آيات وآحاديث وأحكام إسلامية وإنسانية في حق الإنسان المسن غير المسلم وحفظ الإسلام تلك الحقوق للإنسان المسن مسلماً كان أم غير مسلم، ولقد تطبع أفراد المجتمع المسلم بذلك الخلق وتوارثوا توقير الكبير واحترامه وتقديره مسلماً كان أم غير مسلم انقياداً لتعاليم دينهم، واتباعاً لسنة رسولهم ﷺ، فكان الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - من أشد الناس توقيراً لإخوانه ولمن هو أسن منه، فقد روى عنه المروزي أنه

جاءه أبو همام راكباً على حماره، فأخذ له الإمام أحمد بالركاب، وقال المروزي : رأيته فعل هذا بمن هو أسن منه الشيوخ[٧٠]، أما المجتمع المسلم فقد استوعب هذا الاحترام والتوقير لكبار السن، وأصبح سمة من سماته، فلا تكاد تجد كتاب حديث، أو زهد، أو توجيهات، أو نصح إلا ويعقد فيه باب أو أكثر عن توقير الكبير، أو تسويده، أو إحترامه، أو إكرامه، بل وضعوا قواعد لذلك، فيقرر ابن عقيل أن من مشى مع إنسان أكبر منه فيمشي عن يمينه يقيمه مقام الإمام في الصلاة، وإن كانوا جماعة فيستحب مشي الجماعة خلف الكبير.

إذاً فالمسن في المجتمع المسلم يعيش في كنف أفراده، ويجد له معاملة خاصة تتميز عن الآخرين، ولم تقتصر هذه الرعاية والعناية على المسلم، بل امتدت بالرعاية لتشمل غير المسلم طالما أنه يعيش بين ظهراني المسلمين، فها هي كتب التاريخ تسطر بأحرف ساطعة موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ذلك الشيخ اليهودي الكبير، فيذكر أبو يوسف في كتابه (الخراج) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه فقال : «من أي أهل الكتب أنت؟ قال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر رضي الله عنه بيده فذهب به إلى منزله، فرضخ له ـ أي أعطاه ـ من المنزل بشيء، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم»[٧١]، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه وجعل له مخصصاً شهرياً.

وهذا خالد بن الوليد من بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يمارس دوره في رعاية المسنين ويعطيهم حقهم من الرعاية والعناية في المجتمع، حتى وإن لم يكونوا مسلمين، فلقد صالح أهل الحيرة، وجاء في صلحه معهم أنه قال : «**وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين**»[٧٢].

ومن بعد خالد بن الوليد رضي الله عنه يسير عمر بن عبد العزيز رحمه الله في ذلك الركب المبارك ويؤدي دوره الرعوي نحو رعيته، فها هو يكتب لعامله عدي بن أرطأة في رسالة طويلة ما نصه : «**وانظر من قبلك من أهل الذمة من قد كبرت سنه وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه**»[٧٣]، ولقد قرر أبو يوسف في كتابه (الخراج) أن الجزية لا تؤخذ من الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل، ولا شيء له.

وإضافة لتلك الرعاية الخاصة يمكننا أن نلمس صوراً من الرعاية العامة للمسنين، وذلك حينما تعجز الأسر عن تقديم الرعاية اللازمة للمسن، أو حينما لا يكون هناك ثمة راع أو معين لذلك المسن، فلقد برز في المجتمع المسلم ما يسمى بالأربطة وهي أماكن تهيأ وتعد لسكنى المحتاجين، وأصبح بعضها ملاجىء مستديمة لكبار السن، فالأصل هو رعاية المسن في أسرته، وإن تعذر فإن المؤسسات الاجتماعية مثل : الأربطة، والدور الاجتماعية، وهي في أصلها جهود شعبية من أفراد المجتمع المسلم، ثم عملت الدول على تنظيمها والإشراف عليها تقوم برعاية المسن فيها.

ولقد امتدت يد الرعاية في الإسلام إلى المسنين غير المسلمين حتى في الحروب فمن المعلوم أن بعض الدول في العالم الحديث لم تعرف آداب الحرب إلا في القرن الماضي، في حين جاء بها الإسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، حيث لم تظهر معاهدة رسمية من المجتمع الدولي حول آداب الحرب إلا في عام ١٨٥٦م، والتي تسمى (تصريح باريس البحري)، ثم توالت الاتفاقات وأبرزها اتفاقية جنيف التي دونت عام ١٩٤٩م والخاصة بمعاملة جرحى وأسرى الحرب، وحماية الأشخاص المدنيين، ورغم وجود هذه المعاهدة فإنها لا تطبق إلا في حالة قيام الحرب بين دولتين موقعتين على هذه المعاهدة وإلا فلا تفعيل لها وتطبيقها، وسوف نبين حقوق غير المسلم أثناء الحرب في فصل لاحق من هذه الموسوعة إن شاء الله تعالى وذلك في الباب الخاص بحقوق غير المسلمين في الإسلام.

وقبل أن نختم هذا الفصل عن حقوق المسلمين وأنه من النواقص التي لم يتضمنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نوضح بعض الحقائق الخاصة بالمسنين والتي اهتم بها الإسلام ابتداءً ولم يتلفت إليها في المواثيق الدولية والمنظمات والهيئات العالمية والأممية، فنقول أنه لم يعد يخفى على أحد انتشار ظاهرة الهرم السكاني في دول العالم المتقدمة، متمثلة في التزايد المطرد لنسبة كبار السن، على حساب تناقص نسبة صغار السن في هذه الدول. وستعيش الدول النامية وطأة هذه الظاهرة مع بداية القرن الواحد والعشرين والتي ستترافق مع تغييرات اجتماعية تؤدي إلى قلة الاهتمام بهذه الفئة العمرية، كتغير نمط وتعقيدات أساليب وطراز الحياة والتواصل، وترتبط الشيخوخة بالعديد من المخاطر الصحية، وهي واضحة وجلية خاصة في الدول النامية، ويتوقع لها الزيادة في المستمرة، ولقد أخذت هذه المشكلة أبعاداً واسعة للأسباب الآتية :

١ ـ انخفاض معدلات الوفيات في دول العالم وهو العامل الرئيسي، ولا سيما في الدول النامية، ومن البديهي أنه كلما انخفضت معدلات الوفيات ارتفع متوسط العمر مما يؤدي إلى ازدياد ظاهرة التقدم في السن.

٢ ـ المخاطر التي تواجه المسنين من أمراض وإصابات أو إعاقة.

٣ ـ التغيرات الاجتماعية للاهتمام بهذه الفئة العمرية، ومنها تحول نمط الأسرة من العائلة الممتدة إلى العائلة النواوية المصغرة، وانفصال الأبناء عن عائلة الوالدين بعد الزواج، وخاصة بعد ازدياد فرص التعليم، وزيادة فرص العمل، كما أن هجرة الأبناء دفع بهم للابتعاد عن العائلة، كما ساهمت أزمة الإسكان في ظهور مناطق جديدة بعيدة للسكن في الأحياء مما يعوق الترابط العائلي والتقارب الأسري.

ولقد بدأت هيئة الأمم المتحدة تُبْرِزْ مؤشرات الاهتمام بالمسنين في عام ١٩٤٧م، وفي عام ١٩٨٢م تم إنشاء الجمعية العالمية للمسنين (فيينا ـ النمسا) حيث أقرت الخطة الدولية لرعاية المسنين التي جاءت في ست وعشرين توصية شملت : الصحة ـ التغذية ـ الإسكان ـ البيئة ـ الحياة الأسرية ـ الرعاية الاجتماعية ـ تأمين

الدخل ـ العمل ـ التعليم، وضمت الخطة أيضاً الإحصاءات والأبحاث والتدريبات الخاصة برعاية المسنين، وفي عام ١٩٩١م وقعت الجمعية العامة للأمم المتحدة على مبادئ الأمم المتحدة لكبار السن ويبلغ عددها ثمانية عشر مبدءاً، تنحصر في خمسة مفاهيم أساسية هي :

١ ـ مفهوم الاستقلالية. ٢ ـ مفهوم المشاركة.

٣ ـ مفهوم الرعاية. ٤ ـ مفهوم الرضى الشخصي.

٥ ـ مفهوم الكرامة.

وقد عقد لأول مرة اليوم الدولي للمسنين في الأول من أكتوبر عام ١٩٩١م، وفي اليوم الدولي الثامن للمسنين في أول أكتوبر من عام ١٩٩٨م انطلقت الفعاليات الأولى للعام الدولي للمسنين، أما عام ١٩٩٩م فقد كان البداية الحقيقية التي تمثل العام الدولي للمسنين. ولقد نظمت الجمعية العامة للأمم المتحدة العام الدولي للمسنين من أجل إقرار المبادئ الأساسية للمسنين ومحاولة تنمية الاتجاهات والقدرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمعنوية للمسنين في المستقبل، ويتضمن ذلك مفهوم التنمية والسلام العالمي، وكان الشعار العام (نحو مجتمع لكل الأعمار)، وكان عام ٢٠٠١م، يمثل تفعيل الجمعية العامة للأمم المتحدة للعام الدولي للمسنين، وإعداد النظرة المستقبلية لتطبيق هذه المفاهيم على الواقع في الألفية الثالثة، وكما قلنا فإن مؤشرات الإحصاءات السكانية تظهر اختلال شكل الهرم السكاني في بعض الدول، وذلك بتضخم قمة الهرم السكاني ووسطه عام بعد آخر، وقد وصل الأمر في بعض الدول الغربية إلى درجة الاعتقاد بانقلاب الهرم السكاني، ويعود ذلك بعد تقدير الله عز وجل، فعلى سبيل المثال يوضح الجدول الآتي النسب المئوية للسكان الذين تجاوزوا الستين من العمر خلال أربعة عقود في بعض قارات العالم خاصة والعالم بصفة عامة[٧٤] وذلك على النحو الآتي :

نسبة المسنين إلى مجموع السكان				
العام / المنطقة	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٤٠٠هـ ١٩٧٠م	١٤١٠هـ ١٩٧٠م	١٤٢٠هـ ١٩٧٠م
العـالـــم	٨,٤	٨,٩	٨,٩	٩,٣
أوربـــا	١٦,٧	١٦,٧	١٧,٨	١٨,٥
أمريكا الشمالية	١٣,٨	١٤,٩	١٥,٢	١٥,٤
شـرق آسيـا	٨,٥	٩,١	١٠,٢	١١,٢

من الواضح تزايد نسبة المسنين إلى مجموع السكان بشكل عام، وهذه عائدة بعد تقدير الله على ارتفاع معدلات توقع الحياة (العمر) للجنسين في العالم الغربي مقارنة بالعالم الثالث[٧٥] ، كما هو مبين في الجدول التالي :

توقع الحياة (العمر)			
البلـــــد	الذكور	الإناث	الجنسين
معدلات ارتفاع سنوات العمر في العالم بشكل عام	٦٧	٦٣	٦٥
المملكة العربية السعودية	٦٧	٦٤	٦٦
مصـــر	٥٩	٦٢	٦٠
سيراليـــون	٤٠	٤٤	٤٢
الولايات المتحدة الأمريكية	٧٢	٧٩	٧٥
السويـــد	٧٥	٨٠	٧٨
اليـابـــان	٧٦	٨٢	٧٩
هونج كـونج	٧٥	٨٠	٧٨

يتضح من الجدول السابق أن مشكلة التزايد في العمر وبالتالي تزايد عدد المسنين في المجتمع تتنامى في العالم الغربي، ولهذا يرى بعض المختصين أن هذه المؤشرات التصاعدية سبب في ظهور علم الشيخوخة[٧٦]، وذلك إثر إنشاء مؤسسات لذلك العلم في عدد من الدول الغربية، وعقد أول مؤتمر دولي عن الشيخوخة في بلجيكا، والذي كان من أثره تأسيس الجمعية الدولية للشيخوخة، حيث تعقد مؤتمرات دولية حول المسنين بدعوة من الجمعية العامة للأمم المتحدة لتركيز الجهد من الباحثين في قضايا المسنين ومناقشتها، ومعالجة مشاكلهم، وزيادة الاهتمام برعايتهم كل ذلك يبين زيادة متوسط أعمار الإنسان.

ومع هذه الاهتمامات في الجوانب العملية والبحثية وما صاحبها من جهود أخرى في المجال العملي للمسنين في الدول الغربية بشكل ملفت، إلا أن هناك سوء معاملة للمسنين في الغرب، لدرجة أنها بدأت تأخذ فصولاً عديدة في القانون الأمريكي، وأصبحت قضايا المسنين تمثل نسبة مرتفعة من الدعاوى في المحاكم الجزائية، فمع بداية عام ١٩٨٥م قامت عدة ولايات أمريكية بسن القوانين التي تتعلق بسوء معاملة المسنين واعتبرت المسيء إلى المسن بالضرب أو منعه من الطعام هو خرق للقانون والحقوق[٧٧]، يوجب العقاب، وهذا أدى بدوره إلى تزايد ظاهرة إنشاء مساكن للمسنين في عدد من الدول الغربية لاستنقاذهم من الحال الذي قد يجدوه من أسرهم، وتورد الأخبار أن الأمر بلغ من السوء حتى أن مجلس مراكز الرعاية للمسنين في المملكة المتحدة تلقى عام ١٤١٥هـ/١٩٨٥م (٨٠٥) ثمانمائة وخمس شكاوى عن اعتداءات على المسنين من قبل الممرضات العاملات في مراكز العجزة، وقد أدان المجلس ستة وتسعون ممرضة بسبب سوء معاملتهن للمسنين، كما وصف المجلس بعض هذه الاعتداءات بأنها إرهابية ومروعة ووحشية، بل وصف التقرير بعض مراكز العجزة في بريطانيا بأنها معسكرات يتعرض فيها كبار السن للإرهاب[٧٨]، من هنا نرى أن عقاب الإسلام لمن يسيء معاملة كبار السن من

الوالدين والأقرباء والأرحام وغيرهم إنما هو عقاب ينطلق من مفاهيم روحية وقيم تشريعية وعذاب أليم في الدنيا والآخرة، فلا يجرؤ قريب أو غريب على الإساءة إلى المسنين، بل يتوجب احترامهم ورعايتهم مما ذكرنا من قواعد تأصيلية وضوابط شرعية في الإسلام مما سنلقي عليه الضوء في هذا الموضوع عن المسن في المملكة العربية السعودية راعية الإسلام وأحكامه وهي تتهم بالإرهاب والأصولية والدلالات الإحصائية دليل لإظهار الحق .

حقوق المسنين في المملكة العربية السعودية

المسن يدخل ضمن الرعية التي يعد إمام المسلمين راعياً لها ومسؤولاً عنها، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته»**(٧٩)، وهذه المسؤولية تلزم إمام المسلمين تجاه رعيته (ومن بينهم المسنين) مسؤولية شاملة لجوانب الرعاية كلها وما تحمله من وجوه ومعان، فالرعاية اقتصادية، واجتماعية، وعلمية وتعليمية، وطبية، ونفسية .. إلخ، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه، إلا لم يجد رائحة الجنة»**(٨٠)، ومعنى (لم يحطها) : لم يتعهد أمرها ويحفظها ويحفظ حقوقها ويؤديها لمستحقيها، ولهذا فإن رعاية المسنين في المملكة العربية السعودية تنطلق من تعاليم الشريعة الإسلامية في حفظ حقوق هذه الفئة من المجتمع بناء على ما ذكرناه من أحكام الإسلام في ذلك من حق المسلم وغير المسلم من المسنين فيما تقدم، وقبل الحديث عن حقوق المسن في المملكة العربية السعودية لعله من المناسب أن نقدم بعض الحقائق الإحصائية عن المسن من حيث العمر وأعدادهم في العالم وعلى الأخص في دول الخليج العربي ومنها المملكة العربية السعودية.

فإذا كان المسن هو أنه الإنسان الذي بلغ من العمر ستين عاماً فأكثر فهذا يعني

أن كبر السن ليس مرضاً في حد ذاته بل هو مرحلة عمرية يصل إليها كثير من الناس تحدث فيها تغيرات جسمانية وعقلية ونفسية قد تسبب بعض المشكلات في حياة المسن، وهي مرحلة تراكم الخبرات الإنسانية وتكوين الحكمة والحنكة في الحياة، وللمسن عدد من التصنيفات منها :

١ ــ المسن الشاب : لفترة العمر من (٦٠ ــ ٧٤) عام.

٢ ــ المسن الكهل : لفترة العمر من (٧٥ ــ ٨٤) عام.

٣ ــ المسن الهرم : لفترة العمر من (٨٤ عام ــ فأكثر).

وهذا التصنيف مما يجده القارئ في بعض كتب علم النفس أو علم الاجتماع أو الطب أو علم الشيخوخة... إلخ .

والشيخوخة هي خلاف كبر السن لأنها مرحلة عمرية غالباً ما يصاب فيها الإنسان بالضعف والمرض، قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾[٨١] . ومظاهر الضعف تظهر على الجانب الجسماني، ومنها عدم قدرة الخلايا على التجدد والنمو وتناقص القدرة الحيوية والجسمية ويسبب ذلك القصور والعجز، وفي الجانب الاجتماعي يظهر عجز المسنين الذين بلغوا مرحلة الشيخوخة من قصور في أداء دورهم الاجتماعي والذي يؤدي إلى إعاقتهم اجتماعياً، أما الجانب النفسي فهو مرتبط بالجانب الجسماني وضعف الإنسان الذي يصاب بخلل في الأداء الوظيفي للمخ والقدرة العصبية الحركية والذاكرة مع انحدار الإدراك الحسي من ناحية، وظروف الزمن والانفعالات النفسية والسلبية وعدم تناسب دور ونوعية الانفعال مع المواقف التي تمر بالشيخ، ولقد حدد الإسلام متوسط عمر الإنسان المسلم كما في قوله ﷺ : **«أعمار أمتي بين الستين والسبعين وقليل من يتجاوزها»**[٨٢]، وهذا الأمر خاص في أمة الإسلام، حيث كان من الأمم السابقة من

يعيش مئات السنين وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قصة نبي الله نوح عليه السلام الذي عاش يدعو قومه تسعمائة وخمسون عاماً، ويلحظ أن الإنسان المعاصر أصبح يعيش متوسطاً عمرياً أكثر مما كان عليه قبل مائة عام ولعل ذلك يعود إلى الرعاية الصحية المتقدمة والاهتمام بالصحة والبيئة والتغذية في أنحاء العالم مما زاد متوسط توقع البقاء على قيد الحياة (والأمر لله من قبل ومن بعد) على النحو التالي :

ـ عام ١٩٥٠م بلغ ٥٨ عاماً للرجال، ٦١,٥٠ عاماً للنساء.

ـ عام ١٩٦٠م زاد إلى ٦٥,٣ عاماً للرجال ٧٠,٢ عاماً للنساء.

ـ عام ١٩٧٠م زاد إلى ٦٩,٣ عاماً للرجال، ٧٤,٧ عاماً للنساء.

ـ عام ١٩٨٠م زاد إلى ٧٣,٣ عاماً للرجال، ٧٨,٨ عاماً للنساء.

مما سبق يتضح أن النسبة المئوية لسكان العالم الذين أعمارهم فوق الستين عاماً ٥٪ إلى ٨٪ ، ومع تزايد سكان العالم فإن معدلات الزيادة في الفئة العمرية ٦٠ عاماً فأكثر تفوق معدلات الزيادة الكلية للسكان، وأي معدلات زيادة في أي فئة عمرية أخرى، يعني ذلك حقيقيتين :

الأولى: أن أعداداً أكبر من سكان المجتمع الإنساني يمتد به العمر إلى ما فوق الستين عاما وهو ما يعرف بكبر الأفراد.

الثانية : أن التركيبة السكانية تظهرْ تزايداً في نسبة الفئة العمرية من السكان ٦٠ سنة فأكثر وهو ما يعرف بكبر السكان.

ومن المعلوم أن نسبة الذين بلغت أعمارهم فوق ٦٠ عاماً في الولايات المتحدة الأمريكية كانت ١٣٪ من عدد السكان، وبحلول عام ٢٠٢٠م يتوقع أن تبلغ النسبة المئوية في المجتمع الأمريكي ١٤٪، متوسط سنوات العمر التي يعيشها من يبلغ الستين فأكثر، والتي تطول مع مرور السنين، فالسنوات التي يعيشها المسن في تزايد باستمرار، فمعدلات الزيادة في الفئة السكانية ٦٠ عاماً فأكثر أعلى في العالم النامي (بينها الدول العربية الخليجية، خصوصاً المملكة العربية السعودية)، عنه في

العالم الغربي. فبينما تبلغ نسبة زيادة السكان من الفئة العمرية للمسنين فما فوقها في العالم حوالي ٥٠٪ فإن نسبة الزيادة في الدول العربية لهذه الفئة تتراوح بين ٦٥٪ إلى ١٥٠٪ وتبلغ النسبة في المملكة العربية السعودية ٩٦,٤٪[٨٣].

لهذا فإن تنظيم رعاية المسنين وحقوقهم في المملكة العربية السعودية منضبط بأحكام الشريعة الإسلامية التي تنظر بعين الاعتبار والاحترام لكبار السن، وتقدم كل أنواع الرعاية والعناية لهم، تحقيقاً لواجب التكافل الإسلامي والإنساني للحكم في المملكة الذي حدد المقومات الأساسية للمجتمع السعودي بما فيها الأسرة، مثلما أكدته المادة السابعة والعشرون من النظام الأساسي للحكم على التزام الدولة : (بكفالة حق المواطن وأسرته في حالة الطوارئ والمرض والعجز والشيخوخة، وتدعم نظام الضمان الاجتماعي وتشجيع المؤسسات والأفراد على الإسهام في الأعمال الخيرية)، هذا ولقد أوضح التقرير الإحصائي السنوي الشامل لعام ١٤١٦/١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦م الذي نشرته وزارة العمل والشؤون الاجتماعية (منذ عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م أصبحت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وزارتين، الأولى وزارة الشؤون الاجتماعية، والأخرى وزارة العمل) في المملكة العربية السعودية أن نسبة السكان السعوديين البالغ أعمارهم ما فوق ستين عاماً بلغت (١,٥٪) من إجمالي سكان البلاد، وبموجب المادة السابقة من النظام الأساسي للحكم فإن لكبار السن وأسرهم الحق في الرعاية من الدولة من خلال نظام الضمان الاجتماعي، باعتبار ذلك حقوقاً مكتسبة للمواطن السعودي في حالة الشيخوخة تمشياً مع أحكام الشريعة الإسلامية[٨٤].

ورعاية كبار السن في المملكة العربية السعودية تأخذ أشكالاً عدة فمنها ما يكون اقتصادياً من خلال الدعم المادي الكبير لكبير السن وهو يعيش مع عائلته من خلال المناشط الاجتماعية والتثقيفية، وهناك أيضاً الرعاية الإيوائية الشاملة لكبير السن، وهذه خاصة لمن لا يوجد له من يقوم برعايته من أفراد أسرته أو أقاربه الذين تلزمهم رعايته شرعاً، والنوع الأخير من الرعاية ينقسم إلى قسمين اثنين، الأول : رعاية

إيوائية حكومية في دور الرعاية الاجتماعية. والثاني : رعاية من خلال الدور الإيوائية الملحقة في الجمعيات الخيرية ويعتمدان على أساس المساهمة المشتركة بين المستفيدين منها من جهة، وبين الحكومة أو أصحاب العمل من جهة أخرى، في حين يغطي نظام الضمان الاجتماعي الفئة التي لم تلتحق بعمل، ولذلك فإنه لا يقتضي مساهمة مادية من قبل المستفيدين منه وإنما تحدده الحاجة وتقدير مخصصاته، وسوف نلقي بعض الضوء على حقوق المسن في المملكة العربية السعودية، نبدأها بالحقوق الاقتصادية فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا والمال عصب الحياة ومقومها.

١ ـ الحقوق الاقتصادية

إن الرعاية الاقتصادية لحقوق المسنين في المملكة العربية السعودية تتم عبر أنظمة ثلاثة معمول بها في المملكة منذ سنوات طويلة وهي :

أ ـ نظام التقاعد. ب ـ نظام التأمينات. ج ـ الضمان الاجتماعي.

وتنوع هذه الأنظمة يؤدي إلى شمول أكبر عدد من المسنين بالرعاية الاقتصادية، وسنتحدث عن كل نظام من هذه الأنظمة بشكل مختصر يهدف إلى توضيح جوانب الرعاية فيه دون الدخول في تفاصيله الدقيقة، إذ المقصود الإشارة لجوانب الرعاية الاقتصادية الحقوقية للمسنين في المملكة العربية السعودية وحفظ حقوقهم إسلامياً وإنسانياً.

أ ـ الحق في التقاعد

يعود السبب في نشأة نظام التقاعد إلى التطور الإداري الذي حدث في المملكة العربية السعودية، إثر تزايد عدد الموظفين المدنيين والعسكريين في الدولة، وقد أدى ذلك التزايد في عدد الموظفين إلى إيجاد نظام يخدم هذه الفئة من العاملين في الدولة بعد بلوغهم مرحلة متقدمة من العمر أو عجزهم عن العمل،

ولقد صدر أول نظام للمتقاعد المدني في المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٤هـ، وأسندت مهام تنفيذ هذا النظام إلى وزارة المالية، وفي عام ١٣٨٠هـ صدر نظام التقاعد للعسكريين ويتوالى من وقت لآخر تحديث أنظمة التقاعد ليواكب الظروف المعيشية وتحسين أوضاع المتقاعدين والمسنين، وفي ١٣٨١/٢/١٩هـ صدر نظام مستقل للموظفين المدنيين، وأدخلت عليه عدة تعديلات مواكبة للتطور الاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه المملكة العربية السعودية منذ عام ١٣٩٣هـ، كما أدخلت عليه تعديلات أخرى عام ١٤٠٣هـ، كما تم إنشاء صندوق للتقاعد المدني وهو صندوق له ذمة مالية مستقلة وتديره مصلحة معاشات التقاعد ومهمته استثمار المخصصات التقاعدية بإشراف وزارة المالية والاقتصاد الوطني، وينطلق نظام التقاعد في المملكة العربية السعودية من كونه نظام تأمين اقتصادي لمن بلغ الستين من العمر أو عجز عن العمل، ومن هنا فهو ليس بنظام للتوفير، وهذا يعني أن الدولة ملزمة بضمان دخل للموظف الذي يترك وظيفته بسبب الكبر أو العجز، بغض النظر عن المبالغ التي استوفاها من خلال عمله الحكومي.

ولقد حدد النظام سن التقاعد للموظفين المدنيين بلوغ الستين من العمر كحد أقصى لوجوب الإحالة على التقاعد، وهناك فئات مستثناة من هذا السن مثل : القضاة، والوزراء، وشاغلوا وظائف الإرشاد الديني، ومرشدوا القرى والبوادي، وأئمة المساجد، ورؤساء وأعضاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمناء المكتبات، والفراشون بالحرمين الشريفين والمساجد، ومأذونوا الأنكحة، وغسالوا الموتى، وحفاظ القرآن الكريم القائمون على تدريسه، وشاغلوا وظائف الخويا (الحرس الخاص) ورؤسائهم، ورؤساء الهجانة، وقصاصوا الأثر، وعمد الأحياء ومن في حكمهم ممن إذا تقدم بهم السن زادت خبراتهم ونضجهم مثل القضاة وحفاظ القرآن الكريم والأئمة .. إلخ[٨٥].

ولقد حدد نظام التقاعد كيفية صرف المستحقات التقاعدية بعد ترك الموظف

للوظيفة بسبب بلوغه الستين عاماً، بحيث يتم حسم نسبة من راتب الموظف الشهري تعادل (٩٪) من الراتب الأساسي، كما تخصص وزارة المالية والاقتصاد الوطني حصة مماثلة لما يؤديه الموظف، ولقد أقر النظام الحقوق المالية للمتقاعد وفق أسس ثلاث :

١ ــ مدة الخدمة .

٢ ــ مقدار الراتب الشهري قبل التقاعد.

٣ ــ أسباب الإحالة على التقاعد.

ومن هنا يتضح أن مقدار الراتب التقاعدي يتأثر بعدد سنوات الخدمة، فكلما زادت سنوات الخدمة أدى ذلك إلى زيادة مقدار الراتب التقاعدي، ويمكن أن نلحظ هنا زيادة تقديرية لكل سنة وظيفية في حياة الموظف، وهي تعني تقدير لكل من تقدم به العمر تقديراً مادياً يتناسب مع هذا النظام، وعلى ذلك يمكن القول أن نظام التقاعد من وسائل الرعاية الاقتصادية للمسنين في المملكة العربية السعودية، بحيث توفر له الحياة الكريمة وأسرته بعد تقدمه في العمر وعجزه عن العمل أو تقاعده عنه.

ب ــ الحق في التأمينات الاجتماعية

يعد نظام التأمينات الاجتماعية نظاماً اجتماعياً تكافلياً تتجسد فيه رعاية الدولة لفئة من العاملين في قطاعاتها المختلفة لتوفير حياة كريمة ومستقرة لهم ولأسرهم بعد بلوغهم سناً يعجزون فيها عن العمل، كما يعد نظام التأمينات الاجتماعية مكملاً لنظام التقاعد، فهذا النظام يغطي فئة العمال بمختلف أعمارهم، في حين يغطي نظام التقاعد فئة الموظفين المدنيين والعسكريين، وهذا من التنوع في الرعاية التي أشرنا إليها سابقاً، يعني الرعاية الاقتصادية للمسنين من جميع فئات المسنين سواء العاملة في وظيفة مدنية، أو عسكرية، أو مهنية فنية، أو من كان بدون عمل، وهو الذي يرعاه نظام الضمان الاجتماعي ويلبي حاجة المسن الاقتصادية.

ولقد أنشئت المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية في المملكة العربية السعودية عام ١٣٨٩هـ، وصدر نظامها في العام نفسه، وهو يُطبق على جميع العمال

بشكل إلزامي دون تمييز في الجنسية، أو الجنس، أو السن، أو الدين أو اللغة .. إلخ، أعمالاً لأحكام الشريعة الإسلامية ومهما كانت مدة العقد بين العامل ورب العمل، أو طبيعته ، أو شكله، ومهما كان الأجر المدفوع، أو نوعه بشرط أن يكون أدى خدماته بصورة رئيسية داخل المملكة العربية السعودية[٨٦]، وإن كان نظام التأمينات الاجتماعية قد استثنى مساهمة بعض الفئات المحدودة من العمالة في موارده، إلا أنه شمل قطاعاً كبيراً جداً من العمالة في المملكة العربية السعودية، أما العمالة التي استثناهم النظام فهم :

ـ خدم المنازل

ـ أفراد أسرة صاحب العمل الذين يعيشون معه تحت سقف واحد.

ـ عمال الاصتناع، وهم العمال الذين يعملون في منازلهم.

ـ العمال المأجورون المستخدمون في أعمال الفلاحة الخاصة والرعي الحيواني.

ـ العمال الأجانب الذين يقدمون إلى المملكة العربية السعودية لأعمال لا يستغرق إنجازها ثلاثة أشهر[٨٧].

وموارد المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية تتمثل في اشتراكات أصحاب العمل المؤمن عليهم، وإعانات الدولة السنوية، والمبالغ الإضافية لقاء التأخر في دفع الاشتراكات والأرباح الناتجة من استثمارات أموال المؤسسة العامة، والهبات والوصايا المتبرع بها للمؤسسة.

ولكي يشمل نظام التأمينات الاجتماعية العامل فإنه يقتطع ما مقداره (١٣٪) من الأجر الشهري الذي يتقاضاه العامل من رب العمل، يدفع (٨٪) منها صاحب العمل، و (٥٪) يدفعها المؤمن عليه أي العامل. ومن ثم تقدم التعويضات للمؤمن عليهم من قبل المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية في الحالات التالية :

أ ـ إصابات العمل والأمراض المهنية.

ب ـ العجز والشيخوخة والوفاة.

ولقد حدد النظام كيفية التعامل مع العامل المسن، حيث فرض راتباً شهرياً يسمى (معاش الشيخوخة) إذا بلغ العامل الستين عاماً من عمره يصرف له طوال حياته ولورثته بعد وفاته، بالإضافة إلى أحكام أخرى وضحها نظام التأمينات الاجتماعية وخص بها العمال المسنين، حيث اشتمل على أكثر من سبع مواد خاصة بالعمال إذا بلغوا الستين عاماً وكيفية التعامل معهم، أما معاش الشيخوخة فيحسب بضرب جزء من خمسين من متوسط الأجور الشهرية بعدد سنوات التأمين ويزاد معاش الشيخوخة (١٠٪) للشخص الأول من عائلته الذي تقع إعالته عليه و (٥٪) لكل من الشخص الثاني والثالث[٨٨].

وتظهر أهمية هذا النظام الذي يمثل جانب من جوانب الرعاية الاقتصادية للمسنين في المملكة العربية السعودية، إذا علمنا أن معاشات الشيخوخة تمثل (٦٤٪) من مجموع المبالغ المدفوعة للسعوديين من فرع المعاشات طوال الفترة الممتدة من عام ١٣٩٥هـ وحتى عام ١٤١٧هـ، وبلغت حالات الشيخوخة للسعوديين التي ترعاهم المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية رعاية اقتصادية من خلال معاشات الشيخوخة (٩٢٢,٩٦٢) تسعمائة واثنين وعشرين ألف وتسعمائة واثنين وستين حالة من السعوديين[٨٩].

ج ـ الحق في الضمان الاجتماعي

بعد تأسيس وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٠هـ كان من مهامها رعاية الجمعيات الخيرية والتعاونية، والإشراف على دور الأيتام والعجزة وشؤون العمل والعمال .. إلخ، ثم أحدثت في عام ١٣٨٢هـ مصلحة للضمان الاجتماعي ترتبط بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وقد كان من طبيعة عملها أن تراعي وتنظم مساعدة الأسر والأفراد المستفيدين من الضمان الاجتماعي، ولقد صدر المرسوم الملكي رقم ١٨ في ١٣٨٢/٣/١٨هـ بنظام الضمان الاجتماعي الذي حقق لفئات

كثيرة من المجتمع ظروفاً معيشية أفضل، وخفف عنهم بعض ما يعانونه من شظف العيش، أو ما يجدونه من صعوبة في مزاولة العمل، من أجل إعالة أنفسهم وأسرهم، واستمرت مصلحة الضمان الاجتماعي تؤدي دورها الرعوي حتى عام ١٣٩٥هـ حيث تحولت إلى وكالة لوزارة العمل لشؤون الضمان الاجتماعي لتفعيل الدور الذي تقوم به.

لقد صدر نظام الضمان الاجتماعي، ليكفل للمواطن السعودي المستحق مزايا وحقوق على الأقل الحد الأدنى من العيش، يقيم بها حياته، ويدفع عنه ذل المسألة، ويحفظ كرامته، ويشعره أن حقه في حياة كريمة مضمون متحقق له، وقد صنف الضمان خدماته إلى نوعين من الإعانات : (معاشات ومساعدات)، وكل نوع يندرج تحت عدة فئات تتمثل فيما يلي :

١ ـ المعاشات وتشمل الفئات التالية :

ـ من عجز عجزاً كلياً من الرجال بسبب الشيخوخة أو غير ذلك من الأسباب.

ـ الأيتام ومجهول الأب أو مفقوده.

ـ الأرامل والمطلقات اللاتي لا عائل لهن.

٢ ـ المساعدات الاجتماعية، وتشمل الفئات التالية :

ـ العجز الجزئي.

ـ أسر السجناء.

ـ المصابون بكوارث ونكبات فردية.

ـ المساعدات العاجلة.

ـ السعوديات المتزوجات من غير سعوديين، وتنطبق بحقهن شروط المساعدة.

ـ الطلاب والطالبات في الأسر الضمانية والمكفوفين.

ويتم صرف هذه المعاشات والمساعدات وفق ضوابط محددة، حيث تقوم مكاتب الضمان الاجتماعي باستيفاء الأوراق والمستندات، واستكمال الإجراءات التي تثبت أحقية المتقدم إليها للمعاش أو المساعدة من خلال إجراء البحوث الاجتماعية،

ولقد مرت إعانات الضمان (المعاشات والمساعدات) بأربع مراحل، حيث بدأت المعاشات والمساعدات الضمانية بمبلغ يتناسب مع الظروف التي كانت سائدة وكافية لمستوى المعيشة وقت صدور النظام، ثم زيدت عام ١٣٩٤هـ، كما زيدت عام ١٣٩٦هـ، وفي عام ١٤٠١هـ تم رفع قيمتها.

ومعاشات ومساعدات الضمان الاجتماعي محل تحديث وتطوير وزيادة من الدولة، فلقد جاءت الزيادة في عهد خادم الحرمين الشريفين التي صدرت بقرار مجلس الوزراء رقم ٧٥ في ١٤١٣/٦/٦هـ برفع معاشات ومساعدات الضمان بنسبة تتراوح بين ٤٣٪ و١٣٨٪، فأصبح معاش العائل (٥٤٠٠) ريال، أما الأسرة المكونة من سبعة أفراد فتستحق معاشاً قدره (١٦٢٠٠) ريال، وحققت هذه الزيادة لهم مستوى المعيشة يتناسب مع ارتفاع تكاليف الحياة ومتطلبات الإنسان[٩٠].

وكما ذكرنا آنفاً أن من ضمن الفئات المشمولة بالرعاية في نظام الضمان الاجتماعي فئة المسنين، أو من عجز عن العمل سبب الشيخوخة، وتدفع الدولة عن طريق الضمان الاجتماعي المبالغ الطائلة لتضمن استمرار ذلك التوجه الاجتماعي الإيجابي للمسنين وكبار السن وحفظ حقوقهم.

٢ ـ الحقوق الاجتماعية

وهذا هو النوع الثاني من أنواع الرعاية التي تقدم للمسنين في المملكة العربية السعودية وتتعلق بالحقوق الاجتماعية للمسن، ويتمثل ذلك في ممارسة بعض الفعاليات الاجتماعية لدمج المسن في المجتمع الخارجي وعدم تركه للعزلة التي قد يتعرض لها المسن بغير اختيار منه نتيجة للمتغيرات التي يمر بها في مرحلة الشيخوخة وترك الناس له، ويعد هذا النوع من الرعاية من أحدث أنماط الرعاية في المملكة العربية السعودية، وأبرز مثال لهذه الرعاية، مركز الأمير سلمان الاجتماعي بمدينة الرياض.

وإذا كان إنشاء مركز الأمير سلمان الاجتماعي هو بمثابة النموذج الذي يجب

أن يحتذى في بقية مدن المملكة، فما من شك في أن الهدف الأساسي لمركز الأمير سلمان الاجتماعي هو تعزيز احترام الذات عند المسنين عن طريق استعادة إحساسهم بذواتهم ومساعدتهم اجتماعياً ونفسياً من خلال ما يلي :

١ ـ بيان أهمية بر الوالدين من الناحية الدينية والدنيوية، والحث على ذلك، وتوعية الناس بهذه الأهمية.

٢ ـ تجنيب المسن الوحدة والاكتئاب من خلال اللقاءات والنشاطات التي يعدها المركز.

٣ ـ تقديم الرعاية الطبية والنصائح الصحية والوقائية للمسنين.

٤ ـ الاستفادة من المسنين بإتاحة الفرص لهم للإسهام بتقديم معرفتهم وخبراتهم للمركز والمجتمع بأسلوب مفيد.

٥ ـ حث المسنين على المشاركة في العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين الأشخاص وتعزيز حب حياة الجماعة لديهم.

٦ـ تنمية القدرة لدى المسنين على التأقلم مع تغيرات المجتمع والاحتفاظ بصلات طيبة مع الجماعة.

٧ ـ الوفاء بالاحتياجات الاجتماعية الأساسية للمسنين من خلال تقديم المشورة والمعلومات النافعة المبسطة.

٨ ـ إنشاء مكتبة وقسم لدراسات الشيخوخة، وإصدار نشرة دورية تخدم المسنين وتوضح الأسلوب الأمثل لرعايتهم والتعامل معهم.

ولقد تم افتتاح المركز عام ١٤١٥هـ على أرض مساحتها (١٥٠,٠٠٠) مائة وخمسون ألف متر مربع في شمال مدينة الرياض، وهو يحتوي على قسمين منفصلين، أحدهما للرجال والآخر للنساء حفظاً للحقوق وتحقيقاً لمبادئ الإسلام وأهدافه، وبالمركز مرافق متكاملة لخدمة كبار السن، وأبرز المرافق التي يضمها المركز.

ـ مسجد من دورين بمدخلين منفصلين للرجال والنساء ويتسع لخمسمائة مصل تقريباً.

ـ مسرح وقاعة للمحاضرات والندوات العامة.

ـ ورشة في قسم ا لرجال للمهن الخفيفة مثل : النجارة، وتجليد الكتب، وأشغال المعادن.
ـ مسبح مع حمامات السونا والبخار.
ـ عيادة طبية تخصصية في أمراض الشيخوخة.
ـ مكتبة ثقافية وعلمية متخصصة في بحوث الشيخوخة وقاعة للمطالعة.
ـ وحدة للعلاج الطبيعي، وصالة للتمارين الرياضية، ومضمار للجري واللياقة الصحية.
ـ غرف للعلاج المائي والعلاج الكهربائي.
ـ صالات للألعاب الداخلية مثل : كرة المضرب، والبلياردو، والشطرنج، والدومينو .. إلخ.

ويقدم المركز لمنسوبيه العديد من الخدمات الاجتماعية، والثقافية، والصحية التربوية مثل :

أ ـ الكشف الدوري للحالة الصحية داخل المركز، وفي المنزل لبعض الحالات.
ب ـ الاستشارات الطبية في مجال التغذية والحمية.
ج ـ تنظيم دورات في مجال الإسعافات الأولية، وأساليب التعامل مع المسن داخل المنزل.
د ـ تنظيم العديد من اللقاءات الدينية، والثقافية، الصحية على مسرح المركز.
هـ ـ توفير الأجهزة التعويضية لمن يحتاجها من أعضاء المركز بالتنسيق مع الهيئات الحكومية والأهلية.
ز ـ تقديم الاستشارات الأسرية لمنسوبي المركز عبر مكتب الاستشارات الأسرية بالمركز.
ح ـ تنظيم حفلات السمر المسائية والمسابقات الرياضية داخل المركز.
ط ـ القيام برحلات جماعية للحج والعمرة، بالإضافة إلى الرحلات الخلوية للمنتسبين بالمركز.
ي ـ إقامة الدورات المختلفة لإشباع الهوايات المختلفة لمنسوبي المركز مثل : دورات في تعلم الحاسب الآلي، وتعلم الرسم والخط، وتعلم الخياطة للنساء.
ك ـ إصدار نشرة دورية تعني بالمسنين، وقضايا الشيخوخة في المجتمع.
ل ـ دعم البحوث العلمية حول الشيخوخة، وكبار السن في المجتمع السعودي.

ولقد أدى مركز الأمير سلمان الاجتماعي دوراً فعالاً في مجتمع كبار السن في مدينة الرياض، وتزايد الإقبال عليه حتى بلغ عدد المشتركين فيه أكثر من ألف ومائة عضو في عام واحد، ولعل مدن المملكة العربية السعودية ترى في المستقبل ظهور مثل هذا المركز لما فيها من تخفيف عن الإنسان السعودي المسن وأداء لحقوقه عند بلوغ سنه، ويلحظ أن الرعاية الاجتماعية للمسن في المملكة العربية السعودية أنواع متعددة بإعتبارها حقوق للمسن منها :

أ ـ الحق في الرعاية الإيوائية الحكومية

وتمثل الرعاية الإيوائية الحكومية مرتكزاً حيوياً لحياة المسن الاجتماعية، ولقد بدأت الرعاية الإيوائية من قبل الدولة للمسنين في المملكة العربية السعودية، منذ عام ١٣٥٤هـ في مكة المكرمة عندما أسس مدير الأمن العام مهدي بك المصلح ـ رحمه الله ـ داراً لإيواء كبار السن والعاجزين من الحجاج الذين يتخلفون بعد الحج لوقايتهم من التسول، وقد نفذ مشروعه هذا في بيت استأجره لهذا الغرض في مكة المكرمة[٩١].

ولقد كانت قائمة في بداية أمرها على ما يردها من التبرعات من الحجاج والمحسنين، ففي أول عام لها بلغت التبرعات التي وصلت لها (٤٠٠ جنيه إنجليزي) بالإضافة إلى (٢٠٠) طاقة من القماش و (٣٠) كيساً من الأرز والعدس والحنطة، هذا غير ما أمر به الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ من مساعدة دائمة للدار وهي عبارة عن (٩٠) كيساً من الدقيق شهرياً[٩٢].

وبلغ عدد المقيمين بها (٣٠٠) ثلاثمائة مسن ومسنة في عام ١٣٥٤هـ، ثم تقلص العدد في العام التالي إلى (١٠٠) مائة مسن ومسنة، ثم صدرت موافقة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ على بناء دار خاصة بهم في مكة المكرمة على نفقته الخاصة في عام ١٣٦٣هـ، كما قام جلالة الملك عبدالعزيز بمنح المكان المخصص للدار في حي أجياد بمكة المكرمة[٩٣].

وفي عام ١٣٥٧هـ تم افتتاح داراً أخرى للعجزة في المدينة المنورة، وكان الهدف الأساس منها هو القضاء على ظاهرة التسول في الحرم النبوي، وبخاصة بعد نجاح الفكرة في مكة المكرمة، ولقد كانت الدار قائمة في بداية أمرها على أساس ما يردها من التبرعات من الحجاج والمحسنين، وبخاصة من المسلمين الهنود، فلقد كانت التبرعات تصل إلى المسؤولين بالمدينة المنورة، ومن ثم يقومون بتوزيعها على بعض الجهات الخيرية، حيث اعتاد بعض الأثرياء الهنود على إرسال مبالغ مالية من التبرعات لتوزيعها على أعمال الخير في المدينة المنورة مثل : دار الأيتام، ودار العجزة، وجمعية الإسعاف، وإدارة عين زبيدة، وإدارة العين الزرقاء[٩٤]. إلا أن الدار قد واجهت بعض الصعوبات الإدارية إضافة إلى تناقص الموارد المالية والتبرعات العينية التي كانت تصل إليها، لذا صدر قرار الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بإلحاق الدار بدار العجزة بمكة المكرمة من الناحية الإشرافية والتمويلية، وتكليف المشرف على دار العجزة بمكة المكرمة مهدي بك المصلح ـ رحمه الله ـ مشرفاً على الدارين لما أظهره من نجاح في إدارة دار العجزة بمكة المكرمة والإشراف عليها. واستمرت في عملها بكل انتظام حتى ضمت إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عند إنشاءها[٩٥].

وفي عام ١٣٧٣هـ أقيمت دار العجزة في مدينة الرياض، وكانت هذه الدار تتبع الخاصة الملكية في قصر الملك، وفي عام ١٣٧٦هـ ضمت هذه الدار إلى الرئاسة العامة للإيتام، ولقد كانت الرئاسة العامة للإيتام تشرف على عدد من الدور الاجتماعية مثل : دور الإيتام، ودور رعاية الأحداث المنحرفين، وكذلك دور العجزة، والجدول التالي يبين دور الرعاية في بعض مدن المملكة العربية السعودية وتاريخ إنشاء كل دار[٩٦].

رقم	اسم الدار	تاريخ الإنشاء
١	دار الرعاية الاجتماعية بمكة المكرمة	عام ١٣٥٤هـ
٢	دار الرعاية الاجتماعية بالمدينة المنورة	عام ١٣٥٧هـ
٣	دار الرعاية الاجتماعية بالرياض	عام ١٣٧٣هـ
٤	دار الرعاية الاجتماعية بالدمام	عام ١٣٩٣هـ
٥	دار الرعاية الاجتماعية بأبها	عام ١٣٩٤هـ
٦	دار الرعاية الاجتماعية بعنيزة	عام ١٣٩٦هـ
٧	دار الرعاية الاجتماعية بالجوف	عام ١٣٥٦هـ
٨	دار الرعاية الاجتماعية بالطائف	عام ١٤٠٨هـ
٩	دار الرعاية الاجتماعية بوادي الدواسر	عام ١٤٠٨هـ
١٠	دار الرعاية الاجتماعية بجازان	عام ١٤١١هـ

وتهدف دور الرعاية الاجتماعية إلى إيواء وتقديم أوجه الرعاية لكل مواطن ذكراً كان أم أنثى إذا بلغ سن الستين فأكثر وأعجزته الشيخوخة عن إمكانية العمل أو القيام بشؤونه الشخصية بنفسه، ولا يتوفر لدى أسرته أو أقاربه الاستعداد أو الإمكانيات خصوصاً الصحية والطبية لرعايته في المنزل أو ليس لديه أسرة ترعاه، بالإضافة إلى أن دور الرعاية الاجتماعية تقدم الرعاية للمرضى المسنين الذين لا عائل لهم، ويحالون من مستشفيات وزارة الصحة على أن تثبت الفحوص خلوهم من الأمراض المعدية والعقلية، والفئات التي تقبلها دور الرعاية الاجتماعية هي :

١ ـ كل مواطن سعودي الجنسية بلغ سن الستين ولا يستطيع القيام بتدبير شؤونه بنفسه ولا يوجد من يتولى أمره من أهله.

٢ ـ المسنون الذين لا عائل لهم يقوم برعايتهم، والمحولون من المستشفيات.

٣ ـ كل مواطن بلغ سن العشرين أو أكثر يعجز عن العمل أو التأهيل بسبب عاهة جسدية تعيقه عن العمل، أو يكون عاجزاً عن رعاية نفسه.

ويشترط في الالتحاق بهذه الدور ما يلي :

١ ــ أن يكون المتقدم سعودي الجنسية ويكون من أحد الفئات السابقة.

٢ ــ أن يثبت البحث الاجتماعي والفحص الطبي أن ظروف المتقدم تستلزم رعايته في الدار.

٣ ــ أن يثبت الفحص الطبي خلوه من الأمراض السارية، أو المعدية.

وتقدم دور الرعاية الاجتماعية للمقيمين بها العديد من البرامج والخدمات الاجتماعية، والنفسية، والصحية، وتبدأ الرعاية الاجتماعية للمسن منذ لحظة استقباله، ويكون ذلك بدراسة الأحوال المحيطة به، والظروف الاجتماعية قبل دخول الدار، ثم تسكينه في المكان المناسب لسنه وظروفه الصحية، وصرف مستلزماته من الكسوة والأثاث الخاص به، ثم تعريفه بالدار وبرامجها وأجهزتها والعمل على استمرار علاقته وتواصله بالأسرة عن طريق الزيارات المتبادلة، ومساعدته لتقبل حياة الدار الجديدة وتكيفه مع برامجها، وحل ما قد ينشأ لديه من مشكلات، وتعديل ما لديه من تصورات أو اتجاهات خاطئة بما يضمن حسن التوافق مع نفسه ومجتمع الدار، بالإضافة إلى ربطه بالمجتمع الخارجي عن طريق النزهات، والرحلات، والتجوال في البيئة المحلية متى كانت حالته وظروفه تسمح بذلك[٩٧].

أما المسن القادر على المشاركة في فعاليات التعليم الفني والتدريب المهني فإنه يتم تأهيله، فإذا ما أصبح مؤهلاً للعمل تقوم الدار بمساعدته في إتاحة فرصة عمل له خارج الدار مع استمرار سكنه وإيوائه داخل الدار.

وتقوم الدار الاجتماعية بتوفير الرعاية الطبية الكاملة للنزلاء بمعرفة طبيب الدار من خلال : متابعة المرضى والكشف عليهم، وصرف العلاج اللازم، والمتابعة الصحية لمرافق الدار وأماكن النوم ومحتوياتها، وتقديم أنواع الأغذية المناسبة لحالات العجزة والمرضى، ومتابعة النظافة الشخصية للمسنين داخل الدار، وذلك حسب جداول

الاستحمام وغسيل وكي الملابس التي يشرف عليها الممرضون بقسم الرجال والممرضات بقسم النساء.

ويحظى المسنون والمسنات بالرعاية النفسية، وذلك من خلال طبيب نفسي يقوم بالاطمئنان على الذين يعانون من الأمراض النفسية، ويساعده في ذلك مشاركتهم في البرامج والأنشطة التي تستهويهم وتساعدهم على أن يعيشوا حياة مستقرة وهانئة تحت رعاية وعناية وإشراف الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين بالدار. وتنظم الدار الاجتماعية بعض البرامج والأنشطة الثقافية المحببة للمسنين مثل : الاستمتاع بقراءة بعض الصحف والمجلات والقصص والكتب النافعة حسب اهتمامات وميول وقدرات النزلاء، وعقد الندوات الاجتماعية والدينية وذلك من خلال :

ـ الإذاعة الداخلية : للاستماع إلى القرآن الكريم وبعض الأحاديث الدينية وخطبة الجمعة التي تقدم لهم مباشرة من مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

ـ مشاهدة برامج التلفاز والفيديو، بالإضافة إلى الاستماع إلى المذياع والمسجل وفق برنامج ثقافي معد من قبل المشرف الثقافي داخل الدار .

وتهتم الدار الاجتماعية بأنواع النشاط الترفيهي والرياضي، حيث تنظم بعض الألعاب الداخلية مثل : لعبة البلياردو، وتنس الطاولة، والدومينو، بالإضافة إلى ذلك تقوم الدار بتنظيم حفلات السمر الترويحية، والخروج في نزهات خارج الدار للحدائق والمنتزهات العامة، وتنظيم الرحلات الخلوية بشكل منتظم، وزيارة بعض المعارض والمهرجانات السنوية، كما تقوم الدار بتنظيم رحلات للحج والعمرة لمن كان قادراً منهم على ذلك.

ويشرف على هذه البرامج والفعاليات داخل الدور جهاز وظيفي يضم كافة التخصصات الإدارية الاجتماعية والنفسية والطبية والثقافية للقيام بالأعمال والواجبات والمسؤوليات المنوطة به لخدمة المقيمين بالدور، ولقد استفاد عدد كبير من المسنين والعاجزين وناقهي الأمراض النفسية من هذه ا لدور، ويوضح الجدول

التالي عدد المستفيدين من خدمات دور الرعاية الاجتماعية [٩٨]:

العـــــام	عدد المستفيدين		
	كبار السن	ناقهي الأمراض النفسية وذوي العاهات	الإجمالي العام
١٤١٤ ـ ١٤١٥هـ (١٩٩٤م)	٣٣٤	٦٢٨	٩٦٢
١٤١٤ ـ ١٤١٦هـ (١٩٩٥م)	٣٧٣	٥٦٨	٩٤١
١٤١٤ ـ ١٤١٧هـ (١٩٩٦م)	٣٧٢	٥١٣	٨٨٥
المجمـــــوع	١٠٧٩	٣٦٦٤	٤٧٤٣
النسبة المئوية	٢٢٪	٧٨٪	

ومن الجدول يتضح أن معظم المقيمين في دور الرعاية الاجتماعية ليسوا من كبار السن، فنسبتهم لا تتجاوز (٢٢٪)، في حين تبلغ نسبة ناقهي الأمراض النفسية وذوي العاهات (٧٨٪)، وهذا يؤكد استمرار وجود الترابط الأسري في المجتمع السعودي، إذ أن الغالبية العظمى ممن يدخلون الدار لا يوجد لديهم من يقوم برعايتهم من ذوي القربى والأرحام، ونسبة كبيرة منهم لا يوجد لهم أبناء أو بنات لكي يقوموا برعايتهم[٩٩].

ب ـ الحق في الرعاية الإيوائية الأهلية

بدأت الرعاية الإيوائية الأهلية للمسنين في المملكة العربية السعودية قبل أزمنة بعيدة كما ذكرنا سابقاً، حيث كان هناك رعاية أهلية للمسنين فيما يسمى بالأربطة، وهي متركزة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، فلقد كان أهل الخير والمحسنون يقيمون بعض المنازل أو الغرف، ثم توقف للمحتاجين من كبار السن

المنقطعين من حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ويقوم أهل الخير المجاورون لهذه الأربطة بتزويد السكان بالمؤن والمساعدات.

ثم تطور الأمر وأصبح أكثر تنظيماً، حيث قامت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية منذ نشأتها بتنشيط المبادرات الفردية والجماعية في العمل الاجتماعي، ودفع الناس إلى تنظيم الأعمال الخيرية التي يقدمونها من خلال الجمعيات الخيرية سواء الرجالية منها أو النسائية، ومع قيام وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٠هـ سعت إلى بث الوعي الاجتماعي لتنشيط الجهود الأهلية التطوعية، فكان على إثرها أن بدأت الجمعيات الخيرية تنتشر في أنحاء المملكة العربية السعودية، وهذا ما حدا بالوزارة إلى تنظيم هذه الجهود، فقامت بوضع نظام الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية الأهلية عام ١٣٨٤هـ والذي ينظم العمل التطوعي والجهود الأهلية الفردية والجماعية من خلال إنشاء مجالس للجمعيات الخيرية وضبط الأمور المالية والإدارية[١٠٠]، وفي الوقت الحاضر هناك العشرات من الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية، تزيد عن (١٦٠) مائة وستون جمعية خيرية متنوعة الأنشطة، من بينها عشرون جمعية نسائية[١٠١]، واستكمالاً لتلك الرعاية للجمعيات الخيرية تقوم الدولة بدعم هذه الجمعيات ومساعدتها على تحقيق أهدافها من خلال الآتي :

١ ـ إعانة نقدية وتشمل :

ـ إعانة تأسيس : تمنح للجمعيات بعد تسجيلها رسمياً، وقد تصل الإعانة إلى (٥٠,٠٠٠) خمسين ألف ريال.

ـ إعانة سنوية : تمنح للجمعية على ضوء ما تقدمه من خدمات وما تحملته من مصروفات، وقد تصل الإعانة إلى ثمانين ٨٠٪ من مصروفات الجمعية.

ـ إعانة إنشائية للإسهام في تكاليف المباني التي تقيمها الجمعيات الخيرية.

٢ ـ إعانات فنية وتشمل :

ـ تعيين موظفين فنيين للعمل في الجمعيات، مثل الأخصائيين الاجتماعيين والأخصائيات الاجتماعيات.

ـ مد الجمعيات بالخبراء والمختصين لدراسة أوضاعها، وتقديم المقترحات للنهوض بها.

٣ ـ إعانات عينية : لدعم الخدمات القائمة والرفع من مستواها ومنها منح أراض للجمعيات لإقامة مقار عليها.

ـ إعانة طارئة : تمنح في الحالات الاستثنائية لمواجهة الصعوبات أو الأزمات المالية أو الإدارية.

٤ ـ إعانة متنوعة :

ـ معاملة الجمعيات معاملة الأسر البديلة، فيصرف لها إعانات لقاء حضانتها للأطفال ذوي الظروف الخاصة.

ـ تدفع الجمعيات الخيرية سعراً مخفضاً للكهرباء.

ـ إستفادة خريجات أقسام تعليم التفصيل والخياطة بالجمعيات الخيرية من القروض المهنية التي يقدمها صندوق التسليف السعودي للمواطنين والمواطنات.

ـ إقامة دورات تدريبية وندوات وحلقات دراسية للقائمين على الجمعيات الخيرية والعاملين بها.

ويوضح الجدول التالي مقدار الإعانات النقدية التي قدمتها الدولة لهذه الجمعيات خلال الفترة من ١٤١٢هـ حتى ١٤١٦هـ، مع الأخذ بعين الاعتبار الدعم المعنوي والإداري غير المنظور[١٠٢].

العـــــام	قيمة الإعانات الحكومية
١٤١٢ ـ ١٤١٣هـ (١٩٩٢م)	٥٠,٩٦٥,٠٠٠ خمسون مليون وتسعمائة وخمسة وستون ألف ريال.
١٤١٣ ـ ١٤١٤هـ (١٩٩٣م)	٥٧,٥٥٠,٠٠٠ خمسة وسبعون مليون وخمسمائة وخمسون ألف ريال.
١٤١٤ ـ ١٤١٥هـ (١٩٩٤م)	٤٥,٥٠٠,٠٠٠ خمسة وأربعون مليون وسبعمائة وثمانية وخمسون ألف ريال.
١٤١٥ ـ ١٤١٦هـ (١٩٩٥م)	٤٦,٧٥٨,٠٠٠ ستة وأربعون مليون وسبعمائة وثمانية وخمسون ألف ريال.
المجمـــــــوع	٢٠٠,٧٧٣,٠٠٠ مائتين مليون وسبعمائة وثلاثة وسبعون ألف ريال.

وتقوم الجمعيات الخيرية بالعديد من البرامج والأنشطة من بينها رعاية المسنين وغيرهم، ومنها على سبيل المثال :

ـ **برامج رعاية الطفولة** : ويتم ذلك بإنشاء دور الحضانة الإيوائية للأطفال ذوي الظروف الخاصة والأيتام، ورياض الأطفال، ومراكز الرعاية النهارية، وأندية الطفل، وجميع الأنشطة الخاصة بتربية وتثقيف وتعليم الطفل.

ـ **برامج التعليم والتدريب والتأهيل** : وهذه البرامج تهتم بإعداد المواطنين وإكسابهم خبرات ومهارات جديدة تمكنهم من العمل في مجالات مختلفة من خلال تنظيم دورات في برامج الحاسب الآلي والآلة الكاتبة والتفصيل والخياطة ومكافحة الأمية وتحسين الخط ومزاولة الرسم وتقوية الطلاب دراسياً، وتعلم اللغات الأجنبية، وغير ذلك من المهن الحرفية والخدمات الأخرى.

- **برامج رعاية المعاقين والعجزة وكبار السن من خلال :**

- إنشاء مراكز إيوائية للمسنين.
- إنشاء مجمعات صحية واجتماعية.
- إنشاء مراكز للعلاج الطبيعي.
- إنشاء مراكز تعليمية لبعض فئات المعاقين والمسنين.
- إنشاء مشاغل للتأهيل المهني للمعاقات والمسنات.
- تأمين الأجهزة الطبية للمعاقين والمعاقات والمسنين والمسنات.

- **برامج الإسكان الخيري :** ويتمثل هذا البرنامج في تمليك مساكن لبعض الأسر المحتاجة، وتأمين السكن الخيري بدون مقابل، وإدخال التحسينات الصحية والعمرانية على مساكن محدودي الدخل.

- **برامج الخدمات الثقافية :** ويشمل تحفيظ القرآن الكريم، وإنشاء المكتبات، وتقديم الدعم المادي لجماعات تحفيظ القرآن الكريم، وإقامة الندوات والأمسيات الثقافية، ونشر وطبع الكتب ونشرات التوعية واللوحات الإرشادية.

- **برامج الخدمات الصحية وتشمل :**

- افتتاح المستوصفات والعيادات الطبية والصيدليات.
- إجراء عمليات القلب المفتوح مجاناً.
- مكافحة التدخين.
- إقامة مراكز للعلاج الطبيعي والتمريض.
- إقامة دورات تدريبية في الإسعافات الأولية.
- تأمين سيارات للإسعاف لنقل المرضى.
- تأمين السكن الصحي للمرضى ومرافقيهم.
- تقديم الدعم المادي للجان أصدقاء المرضى.
- تقديم خدمات متنوعة لنزلاء المستشفيات.

ـ برامج الخدمات العامة ورعاية المرافق العامة وتشمل :

ـ إقامة وترميم المساجد وتأثيثها.

ـ العناية بالمقابر ومغاسل الموتى.

ـ تأمين النقل للمرضى والطلبة.

ـ تمديد شبكات المياه.

ـ تولي أعمال النظافة العامة في بعض البيئات.

ـ برامج المساعدات المتنوعة وتشمل :

ـ مساعدات نقدية شهرية دائمة.

ـ مساعدات المرضى مادياً.

ـ مساعدات أسر السجناء.

ـ مساعدات ذوي الدخل المحدود على الزواج.

ـ مساعدات وخدمات لسكان الأربطة ودور المسنين.

ـ إنشاء دور الضيافة لرعاية الأسر في الحالات الطارئة.

ـ جمع وتوزيع فائض الولائم والحفلات.

ـ التعاون مع الجهات المعنية في توزيع التمور ولحوم الهدي والأضاحي.

ـ برامج معسكرات الشباب والمراكز الصيفية ومراكز الأحياء وتشمل :

ـ إقامة المعسكرات والمراكز الصيفية للشباب.

ـ المشاركة في الدعم المالي للمعسكرات التي تقيمها بعض الجهات الرسمية والأهلية.

ـ إقامة مراكز اجتماعية للشباب ومراكز للأحياء بصفة دائمة تقدم خدمات متنوعة للشباب وسكان الأحياء.

وتوجد خمس جمعيات خيرية أقامت مراكز لخدمة كبار السن ممن لا عائل لهم ولا يوجد من يرعاهم، ويوضح الجدول التالي هذه الجمعيات التي تقوم برعاية

obeikandl.com

بعض كبار السن في المملكة العربية السعودية، وتاريخ تأسيسها، وتاريخ البدء في تقديم برامج لرعاية المسنين فيها منذ عام ١٣٨٥هـ حتى عام ١٤١٨هـ :

اسم الجمعيـــة	تاريخ التأسيس	تاريخ بدء رعاية المسنين	عدد المسنين
جمعية سيهات للخدمات الاجتماعية	١٣٨٢هـ	١٣٨٥هـ	٨٦
جمعية البر الخيرية ببريدة	١٤٠٠هـ	١٤١١هـ	١٤
الجمعية الخيرية بحائل	١٣٩٩هـ	١٤١١هـ	٢٣
جمعية المنصورة الخيرية	١٤٠٤هـ	١٤١٢هـ	١١
الجمعية الخيرية بالرس	١٤٠٣هـ	١٤١٧هـ	٧
جمعية الملك فهد النسائية بجيزان	١٤٠٣هـ	١٤١٨هـ	١١
المجمـــــــــوع			١٥٢

ويمكننا حصر الاهتمام بالمسنين وحفظ حقوقهم في المملكة العربية السعودية في الجوانب التالية :

برنامج الرعاية الاجتماعية :

١ ـ متابعة المسن وتسجيل كل التغيرات الاجتماعية والسلوكية لتحقيق أفضل طريق تكيف بينه وبين الحياة الاجتماعية في دور المسنين.

٢ ـ العمل على استمرار علاقة المسن بأسرته كلما أمكن ذلك والقيام بالتنسيق بين الدار وأسرة المسن لمن لديهم أسر وصلة قربى ورحم.

٣ ـ العمل على استمرار الصلة بين المسن والبيئة الخارجية إذا سمحت حالته الصحية بذلك عن طريق الزيارات والجولات الخارجية والرحلات.

٤ـ وضع برنامج اجتماعي يومي لحياة المسنين بالدار، يراعى فيه ظروف المسنين والاختلافات الاجتماعية والنفسية والصحية بينهم.

٥ ـ المحافظة قدر الإمكان على طبيعة البيئة الاجتماعية التي عاش فيها المسن.
٦ ـ تنظيم الحفلات الخاصة بالمناسبات والأعياد.
٧ ـ تنظيم الرحلات والزيارات للحرمين الشريفين والأماكن التاريخية والتراثية والترفيهية.

برنامج الرعاية الصحية والثقافة :

١ ـ إجراء الكشف الطبي على المسنين الجدد وتحديد مدى مناسبته للالتحاق بالدار من الأمراض المعدية والسارية.
٢ ـ إجراء الكشف الطبي الدوري على المسنين.
٣ ـ إتاحة الفرصة للمسنين لمطالعة الصحف والمجلات والكتب الاجتماعية والدينية والتاريخية.
٤ ـ إتاحة المجال للمسنين للاستماع للبرامج الإذاعية والتلفزيونية لاستثمار أوقات فراغهم.

ويوضح الجدول الآتي المؤشرات الإحصائية لعدد المستفيدين من خدمات دور الرعاية الاجتماعية خلال الفترة (١٣٨٠ ـ ١٤١٧هـ) :

العـــام	عدد الدور	العدد التراكمي لمجموع المستفيدين			المتوسط السنوي لعدد المستفيدين
		ذكور	إناث	المجموع	
١٣٨٠هـ ـ ١٣٨٥هـ	٣	٧٣٤	٢٠٩	٩٤٣	١٨٩
١٣٨٥هـ ـ ١٣٩٠هـ	٣	٦٢٥	٢٠٤	٨٢٩	١٨٦
١٣٩٠هـ ـ ١٣٩٥هـ	٥	٥٢٦	٢٥٢	٧٧٨	١٥٦
١٣٩٥هـ ـ ١٤٠٠هـ	٧	٦٣٩	٥٩٨	١٢٣٧	٢٤٧
١٤٠٠هـ ـ ١٤٠٥هـ	٧	١٢٣٠	٨٦٢	٢٠٩٢	٤١٨
١٤٠٥هـ ـ ١٤١٠هـ	٩	٢٤٣٤	١٤٥٤	٢٨٨٨	٧٧٨
١٤١٠هـ ـ ١٤١٥هـ	١٠	٣٠٠٥	١٨١٠	٤٨١٥	٩٦٣
١٤١٥هـ ـ ١٤١٧هـ	١٠	١٠٥٨	٦٦٨	١٨٢٦	٩١٣

حقائق إحصائية عن المسنين في المملكة العربية السعودية

أجرت مصلحة الإحصاءات العامة بوزارة المالية والاقتصاد الوطني تعداداً رسمياً للسكان والمقيمين في المملكة العربية السعودية مرتين، فالأول كان عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م وبلغ تعداد سكان آنذاك (٦,٧٢٦,٤٦٦) ست ملايين وست وعشرين ألف وأربعمائة وست وستين نسمة، منهم (٥,٩٣٥,٣٦١) خمس ملايين وتسعمائة وخمس وثلاثون ألف وثلاثمائة و إحدى وستين نسمة من السعوديين ونسبتهم إلى جملة السكان ٨٨,٢٪، وبلغ عدد السكان غير السعوديين (٧٩١,١٠٥) سبعمائة و إحدى وتسعين ألف ومائة وخمس نسمة ونسبتهم ١١,٨٪. والتعداد الثاني والأخير تم تنفيذه عام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، وسنعرض للتعداد الأخير بالتركيز على الفئة العمرية التي تجاوزت الستين عاماً باعتبارها موضوع هذا الفصل في هذه الموسوعة، والجدول التالي يبين نسبة المسنين السعوديين إلى جملة السكان السعوديين في التعداد الذي تم عام ١٤١٣هـ[١٠٣] :

	عـــدد السكـــان		
	ذكـــور	إنـــاث	الجملة
المجموع العام لسكان المملكة (مواطنين ـ مقيمين)	٩,٤٦٦,٥٤١	٧,٤٦٢,٧٥٣	١٦,٩٢٩,٢٩٤
المجموع الكلي للسكان السعوديين	٦,٢١١,٢١٣	٦,٠٩٣,٦٢٢	١٢,٣٠٤,٨٣٥
عدد السعوديين الذين أعمارهم ٦٠ سنة فأكثر	٣٥٥,٥٥٣	٢٦٦,٧٣٥	٦٢٢,٢,٨٨
نسبة المسنين إلى بقية السكان السعوديين	٥,٧٪	٤,٤٪	١٠,١٪

يتضح من الجدول السابق أن نسبة السكان السعوديين ٧٣٪ من جملة السكان، في حين بلغت نسبة السكان غير السعوديين ٢٧٪، كما يلاحظ أن نسبة السكان السعوديين من الذكور الذين تجاوزوا الستين عاما ٥,٧٪ من جملة السكان السعوديين، في حين بلغت نسبة الإناث ٤,٤٪ ، أما نسبتهم بشكل عام فقد بلغت ١٠,١٪ من جملة السكان السعوديين.

وتعد نسبة المسنين في المملكة العربية السعودية من أعلى النسب مقارنة مع جاراتها الدول الخليجية[١٠٤]، ويتبين من ذلك في الجدول التالي:

	الدولة					
	السعودية	عمان	البحرين	الإمارات	الكويت	قطر
النسبة	١٠,١٪	٤,٢٥٪	٣,٧٣٪	٢,٦٧٪	٢,٢٦٪	٢,٢٥٪

وستتضح لنا الصورة بشكل أكبر عن المسنين بالمملكة العربية السعودية بالإطلاع على الجدول التالي[١٠٥] والذي يوضح فئات العمر فيما بعد الستين عاماً حسب العمر والجنس :

فئات العمر	السكان		
	ذكور	إناث	الجملة
٦٠ ـ ٦٤ سنة	١٢٧,٥٨٤	٩٢,٨٤٣	٢٢٠,٤٢٧
٦٥ ـ ٦٩ سنة	٧١,٠٥٩	٤٨,٧٨٩	١١٩,٨٤٨
٧٠ ـ ٧٤ سنة	٦٥,٠٩٦	٥٢,٥٧٧	١١٧,٦٧٣
٧٥ ـ ٧٩ سنة	٣٣,٠١٢	٢٣,٧٠٥	٥٦,٧١٧
٨٠ سنة فأكثر	٥٨,٨٠٢	٤٨,٨٢١	١٠٧,٦٢٣
الجملة	٣٥٥,٥٥٣	٢٦٦,٧٣٥	٦٢٢,٢٨٨

أما الجدول الآتي فيوضح توزيع السكان السعوديين الذين تجاوزوا الستين حسب الحالة التعليمية والجنس خلال تعداد السكان عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م :

الجنس	السكان			
	أمي	الثانوية فما دون	الجامعية فأعلى	الجملة
ذكور	٢٧٢,٨٦٢	٧٩,٩٤٠	٢٧٥١	٣٥٥,٥٥٣
إناث	٢٥٨,٩٦٥	٧٧٠١	٦٩	٢٦٦,٧٣٥
الجملة	٥٣١,٨٢٧	٨٧,٦٤١	٢٨٢٠	٦٢,٢٨٨
النسبة المئوية	٨٥٪	١٤٪	١٪	١٠٠٪

ويتضح من الجدول السابق أن الغالبية العظمى من السكان السعوديين الذين تجاوزوا الستين عاماً غير متعلمين، وهذه نتيجة طبيعية بالنظر إلى حداثة التعليم في كثير من مناطق المملكة العربية السعودية باستثناء الحجاز والإحساء وبعض قرى نجد، أما الجدول التالي فيوضح الحالة الزواجية للسكان السعوديين الذين تجاوزت أعمارهم الستين عاماً :

الجنس	الحالة الزوجية					
	لم يسبق الزواج	متزوج	مطلق	أرمل	غير مبين	الجملة
ذكور	٦,٦٧٦	٣١٣,٥٤٠	٧٤٠٨	٢٧,٨٩٩	٣٠	٣٥٥,٥٥٣
إناث	٢,٤٩٣	٩٢,٩٤٧	١٣٨٨٩	١٥٧,٣٧٨	٢٨	٢٦٦,٧٣٥
الجملة	٩١٦٩	٤٠٦٤٨٧	٢١٢٩٧	١٨٥٢٧٧	٥٨	٦٢٢,٢٨٨
النسبة المئوية	٪١,٥	٪٦٥,٢	٪٣,٥	٪٢٩,٧	٪٠,١	٪١٠٠

ونتيجة هذا الجدول متسقة تماماً مع واقع المجتمع السعودي والتزامه بتعاليم الإسلام التي تحث على الزواج، فلا نجد سوى ١,٥٪ فقط من المسنين الذين لم يسبق لهم الزواج، أما الغالبية العظمى وهي ٩٨,٥٪ فقد سبق لهم الزواج.

ولعله من المناسب إعطاء صورة عن الحالة ا لديموجرافية للمسنين إلى غير المتزوجين في المملكة لوضع فكرة أو تصور عن عدد السكان المسنين في المملكة العربية السعودية وطبيعة توزيعهم. والجدول التالي يوضح توزيع السكان السعوديين المسنين من عمر ستين عاماً فأكثر حسب الحالة الزوجية والجنس[١٠٦] :

الجنس	الحالة الزوجية					
	لم يسبق الزواج	متزوج	مطلق	أرمل	غير مبين	الجملة
ذكور	٦٦٧٦	٣١,٣٥٤٠	٧٤٠٨	٢٧,٨٩٩	٣٠	٣٥٥,٥٥٣
إناث	٢٤٩٣	٩٢,٩٤٧	١٣,٨٨٩	١٥,٣٧٨	٢٨	٢٦٦,٧٣٥
الجملة	٩١٦٩	٤٠٦,٤٨٧	٢١,٢٩٧	١٨٥,٢٧٧	٥٨	٦٢٢,٢٨٨

وختاماً فلئن اهتمت الشريعة الإسلامية بحقوق الإنسان المسن مسلماً كان أو غير مسلم، والتي أبرزت في أدبيات التراث الإسلامي في كتابات كثيرة منها كتاب (الخراج) لأبي يوسف وكتاب (الأموال) لابن سلام، وكتاب (تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر لابن الجوزي)، و(كتاب السير الكبير) للإمام الشيباني، وكتاب (المبسوط للسرخي) وغيرها من الكتب، فإن المفكرين السعوديين نساءً ورجالاً من خلال واجباتهم العلمية والدعوية والاجتماعية التي يحث عليها الإسلام قاموا بعدد من الدراسات العلمية عن المسنين في المملكة العربية السعودية، وهي استكمال للتعرف على واقع المسنين في المملكة العربية السعودية وحفظ حقوقهم ورعايتهم، لتقصي الخصائص العامة لهم، والتعرف على ظروفهم : الأسرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والصحية وحل مشكلاتهم من خلال القنوات الرسمية أو الأهلية، وسوف نستعرض بعض نماذج للدراسات التي أجريت عن كبار السن في المملكة العربية السعودية والتي تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

ـ النوع الأول : دراسات تناولت المسنين من المتقاعدين السعوديين.

ـ النوع الثاني : دراسات تناولت المسنين في المجتمع السعودي بشكل عام.

ـ النوع الثالث : دراسات تناولت المسنين في دور الرعاية الاجتماعية.

والنوع الأول من الدراسات يمكن تتبعها في بحث لإبراهيم بن محمد العبيدي نشر عام ١٤٠٦هـ بمركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية وعنوانه: (المتقاعدون)، وهذا البحث يتعرف على حياة المتقاعدين والأنشطة التي يزاولونها والمشكلات التي يواجهونها، وقد أجرى الباحث دراسة ميدانية على عينة من خمسمائة متقاعد في المدن الرئيسة بالمملكة، كما قدم الباحث نفسه عام ١٤٠٨هـ بحثاً بعنوان (دوافع العمل وخصائص العائدين للعمل بعد التقاعد في المملكة العربية السعودية)، نشر في مجلة الأمن بوزارة الداخلية في الرياض في العدد الثامن، وقد اختار لدراسته عينة من خمسمائة شخص، ولبحثي

المؤلف علاقة علمية متقاربة ذات نتائج واضحة ومباشرة يمكن الرجوع إليهما بالتفصيل. أما الأستاذ عبد العزيز الغريب فقد عالج موضوع المتقاعدين في رسالة الماجستير التي تقدم بها إلى جامعة الملك سعود بعنوان : (المتقاعدون : بعض مشكلاتهم الاجتماعية ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها)، والتي نشرت عام ١٤١٦هـ في مطابع نجد بالرياض. والبحث يتناول دراسة الخصائص الاجتماعية للمتقاعدين وبعض المشكلات الاجتماعية للتقاعد، وهي دراسة وصفية ميدانية اعتمدت على عينة عددها أربعمائة وثمانية وستون شخصاً.

أما النوع الثاني من الدراسات والتي تتصل بالمسنين عموماً في المملكة العربية السعودية يمكن الإشارة إلى بعض منها وهي :

١ ـ (المشكلات والحاجات الإرشادية للمسنات : دراسة ميدانية في مدينة مكة المكرمة)، رسالة ماجستير للباحثة عفاف أحمد عدس، قدمت لجامعة أم القرى عام ١٤٠٩هـ. وقد كانت عينة الدراسة مائة وخمسون مسنة في الأربطة ودار الرعاية الاجتماعية وبعض المنازل، وقد بينت الدراسة نوع المشكلات لدى المسنات والحاجة الإرشادية لهن في جوانب صحية واجتماعية وعائلية ونفسية ومالية .. إلخ [١٠٧].

٢ ـ (دور طريقة تنظيم المجتمع في إشباع الاحتياجات الاجتماعية للمسنين)، هذا عنوان رسالة دكتوراة للباحثة منى شويكة، تقدمت بها عام ١٤٠٤هـ لإحدى كليات الرئاسة العامة لتعليم البنات آنذاك وفيها دراسة للاحتياجات الفعلية للمسنين في المجتمع السعودي وتحديد الأساليب والوسائل اللازمة لإشباع تلك الاحتياجات.

٣ ـ (أثر العوامل الاجتماعية في التوافق الاجتماعي للمسنات)، رسالة ماجستير للباحثة فريدة العبد الواحد، قدمت عام ١٤١٦هـ لكلية الآداب جامعة الملك سعود، وهي دراسة نظرية تطبيقية لعينة قوامها مائتان وإثنتان وخمسون مسنة في مراكز الرعاية الأولية بالرياض، وأظهرت الدراسة العلاقة بين التوافق الاجتماعي والبيئة والحياة الأسرية والزوجية والتعليمية والمالية .. إلخ .

وبالنظر إلى النوع الثالث من الدراسات يمكننا استعراض ما يلي :

١ ـ (برامج رعاية المسنين ودور الخدمة الاجتماعية فيها)، رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثة أسماء الخميس عام ١٤٠٩هـ إلى جامعة الملك سعود، وهي من أولى الدراسات عن المسنين في المملكة العربية السعودية تهدف إلى تحليل الدور الذي تقوم به دور الرعاية الاجتماعية للمسنين في المملكة.

٢ ـ (الشيخوخة ومراكز العناية بالمسنين في العالم : نموذج مركز اجتماعي صحي للمسنين في المملكة العربية السعودية)، رسالة دكتوراه للباحث راشد محمد أبا الخيل نشرت في الرياض عام ١٤١١هـ، تظهر الدراسة مدى رغبة المسنين في المملكة العربية السعودية في الاستفادة من المراكز الاجتماعية غير الإيوائية وأهمية إنشاء مراكز اجتماعية صحية للمسنين لمراعاة أحوالهم المعيشية.

٣ ـ (المشاكل التي يعاني منها المسنون في المملكة العربية السعودية)، دراسة للباحثة ثريا عبد الرؤوف جبريل، نشرت في مجلة الخدمة الاجتماعية للجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين بالقاهرة العددان ٣٤ - ٣٥ عام ١٩٩٢م، وأظهرت الدراسة المشكلات الصحية للمسنين من أمراض السكر والعيون والروماتيزم والمشكلات النفسية من مشكلات الفراغ والاكتئاب ... إلخ.

ومما يلحظ أن الدراسات التي تناولت موضوع المتقاعدين ركزت على التكيف الاجتماعي والاقتصادي والنفسي الذي يعيشه المتقاعد، ومدى المشكلات التي يعانيها المتقاعدون في حياتهم بعد التقاعد، وهذه المشكلات تتراوح بين الاقتصادية، والصحية، وأقلها الاجتماعية[١٠٨]. أما الدراسات التي تناولت المسنين في دور الرعاية الاجتماعية، فكانت أكبر حجماً في العينة، وغطت جميع مناطق المملكة العربية السعودية، كما ركزت على أسباب دخول المسنين إلى دور الرعاية الاجتماعية.

وأهم الدراسات الخاصة بالمسنين في المملكة العربية السعودية يمكن الرجوع

إليها لمزيد من التفصيل في كتاب : (رعاية المسنين في المملكة العربية السعودية : دراسة تاريخية وثائقية)، لعبد الله ناصر السدحان وهي من منشورات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية.

وبعد هذا البحث المستفيض عن حقوق المسن في الإسلام وواجبات رعايته، وفي ظل اهتمامات هيئة الأمم المتحدة بالمسنين وإن جاء ذلك متأخراً ولكنه كان لازماً لسد النقص الموجود في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بتخصيص مادة من مواده تبين حقوق المسن وأهمية رعايته فنقول يمكن إضافة مادة إلى الإعلان فيها ما يلي: «الإنسان المسن مخلوق أدى واجباً إنسانياً لأسرته وبلاده يتوجب رعاية حقوقه الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية من أسرته ومجتمعه وحكومته عند كبر سنه» ، وبهذا نكون قد أنصفنا هذه الفئة من بني الإنسان بحفظ حقوقها كما حفظتها قواعد الإسلام وتشريعاته .